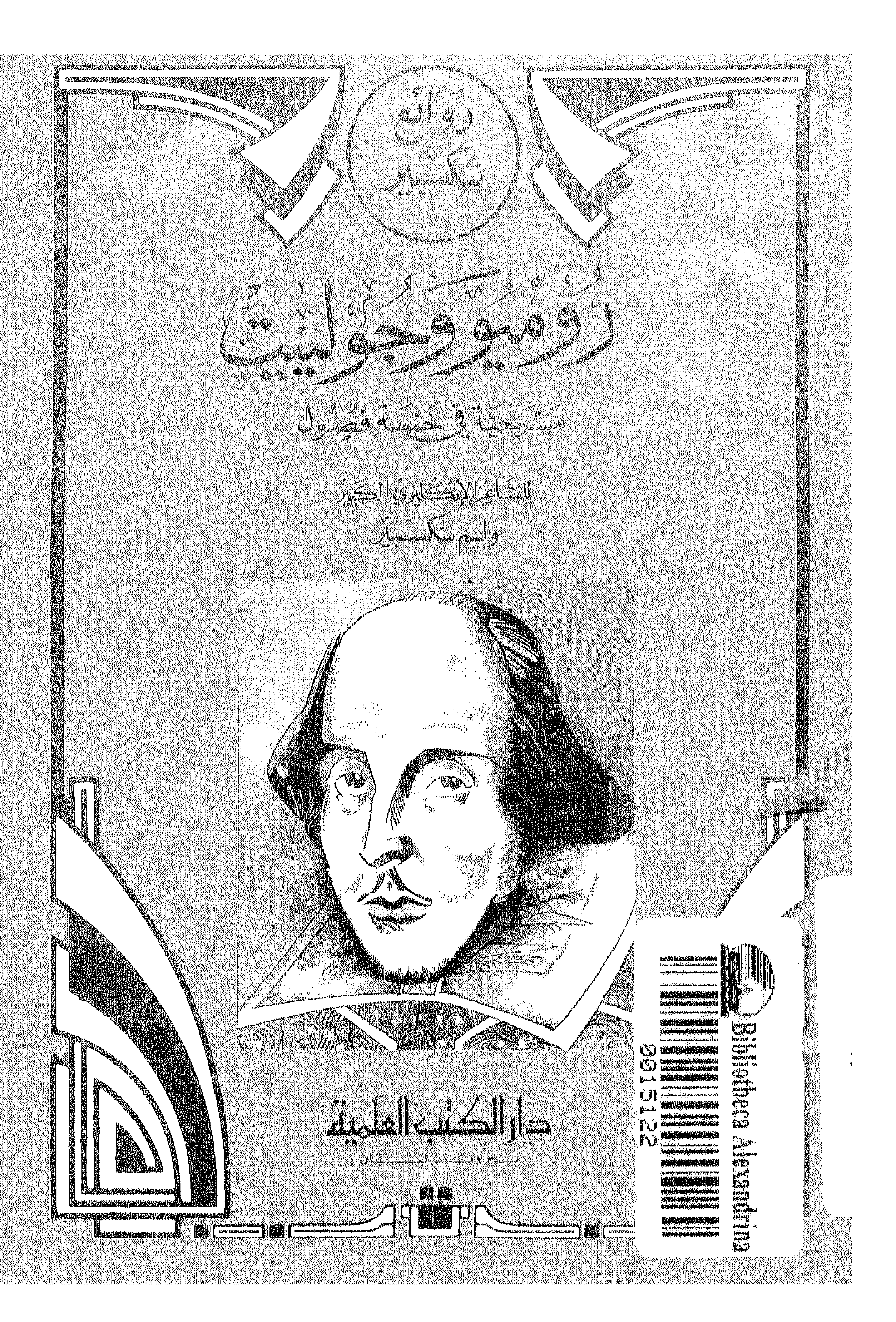

روائع شكسبير
روميو وجوليت
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0015122

رُومْيُو وَجُولِيِيت

مَسْرَحِيَّة في خَمْسَةِ فُصُول

لِلشَّاعِرِ الإنْكليزي الكَبير

وليم شكسبير

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ ـ ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حِكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدته ستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالميّاً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و« خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

أشخاص المسرحية

روميو وجولييت : أبطال القصة .

آل مونتاغو : أهل روميو .

آل مابوليتو : أهل جولييت .

الكونت دي بارس: خاطب جولييت .

الراهب لورانس : راهب المدفن .

تيبالت : ابن عم جولييت وخصم روميو .

فوليو وماركو : أصدقاء روميو .

سمسون دغريفور: من رجال آل كابوليتو .

الامير : حاكم المدينة .

المربية : مربية جولييت .

خدم : خادم روميو ـ خادم بارس ـ خدم آخرون .

حراس : رئيس الحرس وحراس آخرون .

موسيقيون : أعضاء فرقة موسيقية .

الفصل الأول

المشهد الأول

(يدخل سمسون وغريغوري متقلدين سيفهما، مرتدين درعيهما من آل كابوليتو).

سمسون : أقسم بشرفي يا غريغوري أننا لن نحمل حطباً ولا فحماً

غريغور : لا وإلا كنا فحامين .

سمسون : ما أعنيه هو أنه متى غضبنا غضباً شديداً علينا أن ننسحب .

غريغور : بل لتسحب عنقك من فوق قبة قميصك ما دمت حياً .

سمسون : أنت تعلم أنني عندما أثار أضرب بسرعة .

غريغور : ولكنك لا تثار بسرعة حتى تضرب ! .

سمسون : إن كلباً من بيت مونتاغو يثيرني .

غريغور : إن كل ما يثير يحرك ويستفز، ولكن على الشجاع أن يثبت واقفاً. أما أنت إذا أثرت أو حُركت بادرت بالفرار وهربت .

سمسون : إن كلباً من ذلك المنزل يحركني فأقف وعند ذلك آخذ جدار أي رجل منهم أو أية فتاة .

غريغور : وهذا دليل على أنك عبد ذليل ضعيف ، لأن أضعف الناس من يمضي إلى الجدار .

سمسون : هذا صحيح .. فإن النساء لضعفهن يُطرحن عند الجدار ، ولهذا سأجلب رجال مونتاغو من الجدار وآتي بنسائهم إليه .

غريغور : إن النزاع إنما يقوم بين سادتنا وسادتهم وبين خدمهم وبيننا .

سمسون : لا فرق عندي ، فأنا أريد الظهور بمظهر الطاغية ، أقاتل الرجال وأكون مهذباً مع النساء بقطع رؤوسهن .

غريغور : هل تعني رؤوس النساء .

سمسون : رؤوس النساء أو الفتيات .. افهمها بالمعنى الذي يروق لك .

غريغور : إن الذي يفهم المعنى هو من يحسه .

سمسون : سأجعلهم يشعرون بي ما دمت قادراً على الوقوف مكاني مع العلم بأنني، قطعة جميلة من اللحم .

غريغور : من حسن الحظ أنك لست سمكة ، فلو كنت كذلك لكنت في مكان المسكين جون .. هبا اسحب عدتك فإني أرى

رجلين من آل مونتاغو .

(يدخل خادمان)

سمسون : ها أنذا قد أخرجته من غمده ، فإن كان قتال فإني وراء ظهرك أساندك .

غريغور : كيف تدير ظهرك وتهرب ؟ .

سمسون : لا تخف مني .

غريغور : بل أخاف عليك .

سمسون : لنجعل القانون في صفنا، فنتركهما يبدآن .

غريغور : سأتجهم في وجهيهما عندما أمر بهما وليفسرا تجهمي ذلك كما يشاءان .

سمسون : أو كما يجترئان على تفسيره، وأما أنا فسأعض أصبعي فإذا احتملاها مني كان ذلك عاراً عليهما .

ابراهام : هل عضضت إبهامك يا سيدي لنا ؟ .

سمسون : عضضته فعلاً يا سيدي .

ابراهام : وهل عضضت إبهامك لنا يا سيدي ؟ .

سمسون : (هامساً في أذن غريغور) وهل القانون إلى جانبنا إذا قلت نعم ؟ .

غريغور : لا .

سمسون : لا يا سيدي لم أعض إبهامي لكما ، وإنما عضضت إبهامي .

غريغور : هل تريد شجاراً يا سيدي ؟ .

ابراهام : شجاراً يا سيدي ؟ لا يا سيدي .

سمسون : ولكن إذا أردت شجاراً يا سيدي فأنا لك : إنني أقوم بخدمة سيد محترم كسيدك .

ابراهام : ولكنه ليس أحسن منه .

سمسون : حسناً يا سيدي .

(يدخل فوليو)

غريغور : بل أفضل منه ، إن أحد أقارب سيدي يتجه نحونا .

سمسون : أي نعم أحسن منه يا سيدي .

ابراهام : أنت كاذب .

سمسون : إن كنتما رجلين فاستلاّ سيفيكما ، وتذكر يا غريغور ضربتك القاضية .

(يتقاتلون)

فوليو : تفرقوا أيها الحمقى وأغمدوا سيوفكم ، إنكم لا تدرون ما تصنعون .

(يدخل تيبالت)

تيبالت : ويحك يا سيدي . . أتدخل بنفسك في معركة هؤلاء الكلاب الذين ليس لهم إحساس ، تقدم يا فوليو وواجه الموت .

فوليو : لم أكن مشتركاً في شجارهم ولكني أردت أن أصلح بينهم ، فأعد سيفك إلى غمده

أو ساعدني على تفريقهم بالحسنى .

تيبالت : أتتحدث عن الصلح يا هذا ؟ إني أكره هذه الكلمة كما أكره الجحيم وأمقت كل آل مونتاغو على وجه الأرض ، كما اكرهك أنت ، فلنلتق أيها الرعديد !

(يتشاجران)

(يدخل ثلاثة أو أربعة من الأهالي مسلحين بالعصي وآخرون بالمناجل والفؤوس)

أحد الأهالي : هيا اضربوهم بالعصي وبالمناجل حتى يسقطوا صرعى . ليسقط الكابوليتون . ليسقط المونتاغيون .

(يدخل العجوز كابوليتو . لابساً قميص نومه مع زوجته)

كابوليتو : ما هذه الجلبة التي تحدثونها ؟ هاتوا سيفي لأريهم .

زوجة كابوليتو : اطلب عصا أو عكازاً ، لماذا تطلب سيفاً ؟ .

كابوليتو : قلت لكم هاتوا سيفي فإني أرى العجوز مونتاغو مقبلاً شاهراً سيفه في وجهي بتحدي .

(يدخل العجوز مونتاغو مع زوجته)

مونتاغو : إنك لوغد قذر يا كابوليتو . دعوني ولا يمسكن أحد بي ، دعوني أنل منه .

زوجة مونتاغو : لن أدعك تخطو خطوة واحدة نحوه .

(يدخل الأمير اسكالوس مع حاشيته)

الأمير : أيها العصاة ، يا أعداء السلام ، أيها الوحوش الكاسرة ، أيها الذين تخمدون نيران غضبكم وكرهكم واحقادكم من مجرى دمائكم في أوردتكم وشرايينكم ، والله لئن لم تلقوا اسلحتكم المشرعة من أيديكم الدموية الآثمة لأعذبنكم عذاباً لم أعذبه أحداً قبلكم . أيها الشيخ كابوليتو ، أيها الشيخ مونتاغو هذه هي المرة الثالثة التي كدرتما فيها السلام العام في المدينة بشجاركما الذي ولده الحقد الكامن في صدوركم ، لقد جعلتم أهل المدينة يتركون رصانتهم المألوفة ، ويتخلون عن جمال وداعتهم ولين عريكتهم ، ويرجعون إلى عهود الإحن الماضية ، فانقسموا أحزاباً ، واستحالوا شيعاً ، وبعضهم سرت عدواكم إليهم ، فأخذوا يعكرون صفو الأمن ليفرقوا بينكم ، ويشتتوا معاركم وملاحم أحقادكم وخصوماتكم ، اعلموا جميعاً أنكم إذا

عدتم إلى تعكير الأمن في المدينة على هذه الصورة فليس عندي لكم غير عقوبة الموت ، وإني اليوم لمسامحكم فانصرفوا بأمان . وأنت يا كابوليتو ، هيا سر معي ، وتعال أنت يا مونتاغو في الأصيل إلى دار القضاء في المدينة لإبلاغكما رغبَتي في هذا الشأن ، ولينصرف الباقون ، ومن لم يفعل ما أمرت به كان الموت جزاءه .

(يخرج الجميع ويبقى مونتاغو وزوجته وفوليو)

مونتاغو : من جدد الشجار اليوم على هذا الشكل ؟ ألا حدثنا يا ابن الأخ أكنت حاضراً عند بدايتها ؟ .

فوليو : قبل وصولي إلى هذا المكان وجدت خدم عدونا مشتبكين في شجار مع خدمنا ، فاستللت سيفي لأفرقهم ، وإذ بتيبالت الشرس قد جاء شاهراً سيفه ، وأخذ يتحداني بألفاظ بذيئة وكلام قارص ، وراح يختال برأسه كبرياءً ، ويضرب الرياح بسيفه غير أنه لم يجرح أحداً وإنما صفرت الرياح سخرية منه واستهزاءً به ، فلم أجد بداً أمام تحديه وعجرفته وخيلائه إلا أن أستل سيفي منازلاً إياه ، وفيما كنا مشتبكين نتبادل الضرب والطعن حضر

رجال من أنصارهم ورجال من أنصارنا
فاتسعت رقعة المعركة حتى وصل الأمير
ففرق الجميع .

زوجة مونتاغو : يا حسرتي ! أين روميو؟ ألم تره اليوم ؟
إني لأحمد الله على أنه لم يكن حاضراً
هذا الشجار .

فوليو : لقد خرجت يا سيدتي من دارنا قبل أن
تطلع الشمس من نافذتها الذهبية المتوهجة
في الشرق بساعة من الزمن ، أريد
التجول والترويح عن النفس ، خارج
المدينة . فما كدت أبلغ الأكمة الواقعة
في الجهة الغربية منها حتى شاهدت ولدك
سائراً في تلك الساعة الباكرة من
الصباح ، فاتجهت نحوه ، ولكنه كان قد
أحس بي فتسلل متوارياً عني في الغابة .
ولما كنت أعرف من نفسي أن أكثر الناس
هماً أكثرهم للعزلة طلباً ، وأشدهم
للوحدة التماساً لذلك لم أشأ اللحاق به ،
وخليت بينه وبين سروره بالفرار مني .

مونتاغو : كم من مرة شوهد فيها باكراً في تلك
النواحي يزيد بدمعه ندى الصبح ،
ويضيف إلى السحب غمائم من حرّ
زفراته ، وتأوهاته ، ولكن ما تكاد الشمس

ترفع الستار في المشرق عن مضجع الشفق حتى يعود أدراجه متسللاً إلى البيت حزيناً مهموماً فيحبس نفسه في غرفته ويغلق نافذته طارداً عنها ضياء النهار ونوره ويصطنع ليلاً كالليل في ظلمته ، ولا شك عندي في أن هذه الحال تنذر بسوء ، وتنطوي على خطر ، إذا لم يُزل النصح الرشيد أسبابها ويكشف ما تخفي من سر .

فوليو : ألا تعرف يا عمي المحترم ما السبب ؟ .

مونتاغو : لست أدري وليس في مقدرتي معرفة ذلك .

فوليو : وهل ألححت عليه وجربت الوسائل لعله يطلعك على السبب ؟ .

مونتاغو : أجل ، فعلت ذلك ودفعت بكثير من الأصدقاء ليبوح بسره ولكنه أبى إلا أن يكون لنفسه ناصحاً ، ولما في صدره مشيراً ، وإن لم أدر أهو الناجح الصادق والمشير الأمين ، ولم نستطع أن نسبر غوره أو نستكشف ما يخفيه من أمور ، لأنه دائماً مخلد إلى الوحدة ، مصادق العزلة ، حتى لكأنه الوردة الجميلة راحت حشرة مؤذية تأكل زهرها ، وتسري في

كمها ، حتى لا تنشر أوراقها الجميلة في الهواء أو تهدي حسنها إلى الشمس والضياء ، ولو أننا عرفنا سر حزنه ومبعث أشجانه ، لكانت رغبتنا في علاجه وشفائه لا تقل عن رغبتنا في معرفة علته واستئصال دائه .

فوليو : ها هو ذا قادم إلينا فأرجوكما أن تعودا إلى البيت لأخلو إليه وأعرف خافية نفسه ، أو سبب رفضه .

مونتاغو : أرجو لك وقتاً طيباً ، هيا بنا يا سيدتي نذهب بعيداً .

(يخرج مونتاغو وزوجته)

(يدخل روميو)

فوليو : صباح الخير يا ابن العم .

روميو : أترى النهار قد بكّر إلى هذا الحد ؟ .

فوليو : إنها حوالى التاسعة .

روميو : عجباً ! كم تبدو ساعات الأحزان طويلة . أليس أبي الذي رأيته ذاهباً من هنا مسرعاً ؟ .

فوليو : بلى هو . ولكن أي حزن ذلك الذي جعل ساعات روميو طويلة ؟ .

روميو : لم يجعلها طوالاً إلا الحرمان مما يجعلها قصاراً .

فوليو : أفي الحب ؟ .

روميو : بل خارجه .

فوليو : ما الذي تعنيه ؟ .

روميو : أعني خارج الحب، حرماني مِمَّنْ أُحِب .

فوليو : واأسفاه على الحب يبدو في مظهره رقيقاً ناعماً فإذا ما جرب واختبر كان طاغياً مستبداً وساء مصيراً .

روميو : بل واحسرتاه ، أن نجد الحب معصوب العينين أعمى البصيرة ، ثم هو بالرغم من غشاوته ، يبصر مسالكه إلى غاياته ، ودروبه إلى مشيئته ورغبته . أين نتناول غداءنا اليوم ؟ ويحي ! لقد وقع شجار هنا منذ برهة ، فلا تحدثني به ، فقد سمعت به بالتفصيل . ولكن كيف يتعايش التفكير في الحب والبغض معاً ، وعلامَ إذن تكون أيها الحب المتأجج الصاخب ، وعلامَ إذن تكون أيها الكره المحبب ؟ أيها الحب، بل يا أيها الشيء الذي من لا شيء ولد ونشأ ، أيها العبث المرعب والغرور الخطر . يا كومة البلايا والآلام والهموم تلوح في صور جميلة ، وتبدو في أشكال

محبية وألوان زاهية . يا رصاصاً في خفة الريش ودخاناً أسود في مثل بياض الصبح وناراً مستعرة في مثل برودة الثلج ، ويا صحة كالمرض ، وعافية كالسقم ، ويا نوماً كاليقظة وحقيقة كالسراب !. هذا هو الحب الذي أشعر به ، أو هذا هو الشعور الذي لا أجد فيه حباً ، أفلست تسخر مني أيها الصديق ؟ .

فوليو : لا يا بن العم ، بل أبكي .

روميو : ولكن ما الذي يبكيك يا صاحب القلب الطيب ؟ .

فوليو : لقسوة الحب على قلبك .

روميو : هكذا الحب في طغيانه ، وهكذا يجمع الهموم فتتكاثر في قلبي ، فلا تزدها أنت بأحزانك فإن هذا الحب الذي أبديته نحوي إنما يضيف حزناً إلى أحزاني المتراكمة . إن الحب دخان يتصاعد ويرتفع من أبخرة الآهات . فإذا تطهر استحال ناراً وشرراً في أعين المحبين ، وإذا ما عوكس وأغضب انقلب بحراً تزيده الدموع ، وتصب فيه العبرات ، وإلا فليت شعري ما هو الحب إن لم يكن جنوناً عاقلاً . أو عقلاً هو أدنى إلى

الجنون ، أو هو مرّ كالحنظل وحلو كالعسل وداعاً يا ابن العم .

(يهم روميو بالذهاب)

فوليو : مهلاً فإني ماض معك ، فإذا ما تركتني ومضيت فأنت لحبي لك ظالم .

روميو : تباً لك ! لقد ضللت وذهب رشدي وكأني لست هنا لست روميو ، بل كأن روميو شخص آخر في مكان آخر .

فوليو : أخبرني جدياً من هي التي تحبها ؟ .

روميو : عجباً ! كيف تريد ذلك وأنا في لوعتي وأنيني ؟ .

فوليو : لا أحسدك عما صرت فيه . . ولكن أخبرني جدياً من تهوى ؟

روميو : إنك بما تطلبه مني كالذي يطلب من المريض المدنف أن يكتب وصيته ، والعليل أن يودع الحياة بكلمة . ولكني مع ذلك قائل لك يا بن العم ومخبرك : إنني أهوى امرأة .

فوليو : لقد كنت قريباً من سداد الرأي حين تصورت أنك لا بد مغرم .

روميو : يا لك من رامٍ ماهر بالرماية . مسدّد بإحكام ، والتي عشقتها فتاة حسناء .

فوليو : إن الهدف الصائب الجميل ، يا بن العم ، أسرع ما يكون إصابة .

روميو : أما في هذه الرمية ، فقد اخطأت لأنها أبت أن تصاب بسهم الحب من كف كيوبيد ، إذ قد أوتيت ذكاء « ديانا » وحكمتها ، وبراعة ربة الصيد وحنكتها ، فهي بمنجاة من سهام ذلك الوليد ، عفافها سلاحها وطهارتها حصنها من كل نبل طائش ورمية سديدة ، فهي لا ترضى في حرب الحب حصاداً ، وتتجنب لقاء الأعين الفضولة والنواظر المقتحمة والمتقدة من شعلة الحب ناراً ، ولا تفتح حجرها لتملأه من الإغراء ذهباً نضاراً ، فقيرة في المال غنية بالجمال حتى ليموت الجمال معها حين تموت فلا يبقى له بعدها في هذا الكون من بقاء .

فوليو : وهل أَقْسَمَتْ أن تعيش على الحب عفيفة ؟ .

روميو : نعم . . فهي بهذه العفة تبدد الجمال تبديداً، لأنها لشدة عفافها، وقسوة فرارها من الحب وخوفها ستقطع سير الجمال، في منحدره إلى الأجيال، فلا ينبت بعدها حسن ولا تترك له بعدها تعاقباً ولا توليداً.

إنها لمفرطة في الجمال، مغرقة في العقل
والحكمة، جميلة حكيمة معاً إلى أقصى
الحدود وقد أقسمت أن تدفن الحب، فأنا
اليوم من هذا القسم حي أشبه بميت،
كأنما عشت لأقص عليك نبئي في
الحياة، وقصتي في الموت .

فوليو : اسمع نصيحتي وانس التفكير بها .

روميو : إذن فعلمني كيف أنساها .

فوليو : تطلق لعينيك الحرية ، وتختار افانين من
الجمال غير جمالها .

روميو : إنها الوسيلة التي أزداد فيها إيماناً بأن
جمالها فوق كل جمال . إن حسن النساء
اللواتي نسميهن نحن جميلات ليس إلا
أقنعة على أديم اجسادهن ومعارف
وجوههن ، فيخيل إليَّ أنهن حسان وما
هنَّ من الحسن الحقيقي بشيء .
إن الذي يصاب بالعمى ليس باستطاعته
أن ينسى كنز البصر الثمين الذي فقده .
إن جميع اللواتي نسميهن حساناً جميلات
إنما يقال عنهن ذلك بالنسبة لها تفاوتاً من
بعدها وترتيباً .
وداعاً يا بن العم لا أستطيع أن أنساها
مهما فعلت .

(يخرجان)

المشهد الثاني

نفس المكان ـ شارع

(يدخل كابوليتو ، والكونت وخادم)

كابوليتو : إن مونتاغو مسؤول مثلي أيضاً، والعقوبة ينبغي أن تكون علينا معاً ولكني لا أظن أن من الصعب علينا ونحن في هذه السن، أن نقطع دابر الفتنة ونعمل على فرض الأمن والسلام .

الكونت : كلاكما عظيم الشأن ، وإنه لمن المؤسف أن تكونا قد عشتما كل هذا الزمن الطويل في خلاف وعداء ، ولكن قل لي يا سيدي ما رأيك في خطبتي التي عرضتها عليك من قبل ؟ .

كابوليتو : ليس عندي ما أقوله إلا ما كررته وأعدته وهو أن ابنتي صغيرة السن ، لا تعرف شيئاً من أمور هذا العالم وأحواله ، ولم تجتز بعد الرابعة عشرة من العمر ، فلا يصح ان نعتبرها قد نضجت واستوت إلا بعد عامين آخرين على الأقل .

الكونت : كم من فتاة أصغر من ابنتك سناً قد اصبحت اليوم أماً سعيدة مستقرة .

كابوليتو : ولكن كم من فتيات بكّر أهلهن بتزويجهن فلم يلبثن بالزواج المبكر أن ذوين وتشوهن .
ولقد سلبتني الحياة كل آمالي ، فلم يبقَ لي أمل سواها ، فهي اليوم عزائي الوحيد في دنياي ، على أنه ليس من بأس أن تتحبب إليها أيها الكونت المهذب الرقيق الحاشية وتعمل على كسب قلبها والتودد إلى نفسها . فإن قبولي ليس إلا جزءاً من رغبتها ومرهون بموافقتها ، فإذا هي وافقت جاء إقراري تبعاً لمشيئتها وكانت موافقتي حسب رغبتها ، وسأقيم الليلة في داري حفلة سنوية اعتدت في كل عام إقامتها، وقد دعوت إليها ضيوفاً عديدين ممن آنس إليهم، وأخصهم بمودتي . وإني أرحب بك أكرم الترحيب إذا أنت تكرمت بالحضور لأنك ستزيد الحفلة رونقاً وبهاءً ، وسترى في داري المتواضعة في هذا المساء كواكب ونجوماً زهراً من كواكب الأرض ومصابيحها ،

يحلن الليل نهاراً بما يشعن في جوانبه من
السناء ووهج الضياء ، ممن يجد الشباب
المتقد والقلوب في الجلوس إليهن كل
رائع من الفرح وكل بديع ، إذ أقبل
الربيع ، وأحسبك ستجد الليلة في دارنا
كل السرور بحضورك وسط الغيد
الحسان ، الشبيهات بالزهر في الأكمام
فلتشنف بأصواتهن سمعك ، ولتملأ من
جمالهن عينيك ، ولتحبب منهنّ اجدرهن
بحبك .
ولئن كانت ابنتي في العدد واحدة منهن ،
فهي في الاعتبار الفذة المتفردة . . .
والآن لنذهب معاً .

(يسلم خادماً بطاقات بأسماء المدعوين)

كابوليتو : (للخادم) اذهب يا هذا ووزع البطاقات
على المدعوين .

(يخرج كابوليتو والكونت باريس)

الخادم : (لنفسه) لقد قال لي اذهب ووزّع هذه
البطاقات على أصحابها والمكتوب هنا .
يعني لي أن يهتم الاسكاف بمقياسه ،
والخياط بمقصه ، والصياد بشباكه ،
والرسام بريشته ، كما أني مكلف بدعوة
أشخاص لا أعرف أسماءهم ، وما من

حيلة لدي سوى أن ألجأ إلى الذين يعرفون كيف يقرؤون ، والحمد لله هأنذا أرى قوماً قادمين من هذا الطريق .

(يدخل فوليو وروميو)

فوليو : خفف عنك يا رجل ! لا يطفىء النار إلاّ النار . ولا يخف ألم إلا بألم مثله أو أشد منه إيلاماً ، وأنت إذا درت على نفسك يميناً حتى أصابك الدوار من كثرة اللف فلا تلبث أن تفيق بالدوران شمالاً ، وقد يعالج الحزن البالغ يوماً بحزن يشابهه . فخذ يا بن عمي سماً جديداً لعينيك يكون ترياقاً للسم القديم فيتلاشى ويموت .

روميو : أحسب « اللزقة » في ذلك أفضل دواء .

فوليو : لأي داء تقصد ؟ .

روميو : لعلاجِ ساقك المكسورة .

فوليو : عجباً يا روميو هل جننت ؟ .

روميو : لم أجن ولكني مغلول أكثر من مجنون سجين ، متروك بلا طعام ، مضروب بالسياط ، معذب ومهان ! (وقد شاهد الخادم) مساء الخير أيها الشاب .

الخادم : أسعد الله مساءك . . أرجو يا سيدي . . . هل تعرف القراءة ؟ .

روميو : أجل أعرف قراءة حظي في تعاستي وشقائي .

الخادم : ربما قد تعلمت ذلك من غير كتاب ، ولكن . . أرجوك ، أبإمكانك قراءة ما تراه مكتوباً ؟ .

روميو : أجل ، إن كان لي بالكلمات والحروف علم .

الخادم : أجاد أنت فيما تقول يا سيدي . . . عن إذنك ولا عليك يا سيدي .

(يهم الخادم بالانصراف)

روميو : انتظر يا هذا ، إني أقرأ .

(يقرأ)

« السيد مارتيفو وحرمه وبناته . الكونت أنسلمي وشقيقاته الجميلات . السيدة أرملة الكونت فرتوفيو . السيد ملاشنتيو وبنات أخيه الجميلات . مركوشيو وشقيقه فالنتينو . عمي كابوليتو وبناته وحرمه ابنة أختي الحسناء روزالين والآنسة ليفيا . السيدة فالنتينو وابن عمه تيباليت لوشيو والحسناء هيلانة » .

إنه لحفل رائع ولكن أخبرني في أي مكان سيكون اجتماعهم.؟ .

الخادم : فوق .

روميو : أين ؟ .

الخادم : إلى العشاء في منزلنا .

روميو : منزل من ؟ .

الخادم : منزل سيدي .

روميو : لك حق . كان واجبي أن أسألك عنه أولاً .

الخادم : سأجيبك قبل أن تسألني، إن مولاي هو الشيخ السيد الثري العظيم كابوليتو، فإن لم تكن من عشيرة مونتاغو، فتفضل عندنا لتشرب قدحاً من النبيذ . طاب يومكم .

(يخرج الخادم)

فوليو : ستذهب الحسناء روزالين التي شغفت بحبها إلى هذه المأدبة السنوية وسيحضرها كل حسان فيرونا الفاتنات . فما عليك إلا أن تحضرها وتروح بعين غير متحيزة تقارن بينها وبين اللاتي سأدلك عليهن من الحسان وأنا الكفيل لك بأن تتبين أن طائرك ليس إلاّ غراباً قبيحاً إذا قورن بحسان الطير والعصافير .

روميو : إن كانت عبادة عيني للجمال تنقلب وهماً فلتتحول الدموع نيراناً ، ولتحرق الأعين التي شرقت يوماً بدمعها . لأنها رأت خداعاً وبهتاناً .

عجباً ! وهل في هذا الكون حسناء أجمل ممن أحب . إن الشمس البصيرة ما طلعت على أجمل منها منذ أن خلق الله العالم .

فوليو : إنما رأيتها رائعة الحسن لأنه لم يكن ثم حسناء أخرى بجانبها قريباً ، فاستوت لديك في العينين حلوة فتانة ، ولكن تعال ضع في إحدى هاتين الكفتين البراقتين البلوريتين حسناءك وفي الأخرى سواها ، سوف اريكها في الوليمة فإنك ستجد حسناءك قد خفت كفتها، وقد رجحن هن في الموازين .

روميو : سأذهب إلى الوليمة ، لا لكي أرى الحسناوات اللاتي ستريني وجوههن ولكن لكي استمتع ببهاء التي سلبتني فؤادي .

فوليو : إذن هيا بنا لنستعد لحضور وليمة هذه الليلة .

(يخرجان)

المشهد الثالث

(عين المكان . حجرة في دار كابوليتو
تدخل زوجة كابوليتو والمرضعة)

زوجة كابوليتو : أيتها المرضعة ، أين ابنتي ؟ اذهبي واحضريها إلى هنا .

المربية : يا سيدتي ، إنها لا تزال طرية العود كالحمل الوديع بل كعصفورة في العش لم تطر . . . يا للعجب . . . أين تراها قد ذهبت (. . . .) يا جولييت ! .

(تدخل جولييت)

جولييت : من ذا الذي يدعوني ؟ .
المربية : أمك .
جولييت : هأنذا رهن مشيئتك يا أماه .

زوجة كابوليتو : إليك ما أريد (إلى المربية) ابتعدي لحظة فإني أريد أن أتحدث إليها على انفراد لا . لا تذهبي أيتها المربية فقد نسيت أن من حقك سماع حديثنا ، فقد عرفت ابنتي منذ حداثتها .

المربية : بالله يا سيدتي إني استطيع ان انبئك

بعمرها بالساعات حتى وليس بالأيام .

زوجة كابوليتو : لم تبلغ بعد الرابعة عشرة .

المربية : أي نعم . . وإني لأراهن بخلع أربع عشرة سناً من أسناني ، التي لم يبقَ لي منها غير أربع ، على أنها لم تتم الرابعة عشرة . كم بقي على أول شهر آب .

زوجة كابوليتو : أسبوعان وأيام قليلة .

المربية : عندما يحل أول آب تتم الرابعة عشرة فهي من عمر ابنتي سوزان رحمها الله ، لقد اختارها الله إلى جواره إذ كانت أكرم على الله من أن تعيش بجواري ، وعلى كل حال عندما تحل ليلة أول آب تكون جولييت قد أتمت الرابعة عشرة . أما عن زواجها . . فكيف أنسى أن أول كلام عنه كان من إحدى عشر سنة ، في السنة التي حصلت فيها الهزة ، ولن أنسى ذلك اليوم ما حييت فقد كنا نريد أن نفطمها فدهنت حلمة ثديي بقليل من الحنظل وكنت ساعتئذٍ جالسة في الشمس تحت برج الحمام ، وكنت أنت وسيدي مسافرين في « مانتوا » ، يا الله إن لي ذاكرة قوية ، فلما شعرت الطفلة بالمر الذي على حلمة

ثديي حتى غضبت على الثدي ، ونفرت
منه ولم تعد بعد ذلك إليه وعندئذٍ رأيت
برج الحمام يهتز لينبهني إلى التحرك من
مكاني حتى لا يقع فوق رأسي . أي والله
كان ذلك منذ إحدى عشرة سنة . وكانت
يومئذٍ قد بدأت تقف على ساقيها وحدها
وكانت تحاول الجري في الحقل والركض
حتى لقد سقطت في اليوم السابق
فجرحت جبينها وكان زوجي رحمه الله
رجلاً يحب الضحك والمزاح فحمل
الطفلة بين يديه وراح يقول لها . « أهكذا
تقعين على وجهك يا هذه ، إنك غداً
حين يكبر عقلك سوف تقعين على
ظهرك . أليس كذلك يا جول . . ؟
ومن الغريب أن الطفلة الجميلة توقفت في
الحال عن البكاء وقالت : « أجل
سيحصل » .

وها هي النكتة يا للعجب أوشكت أن
تتحقق . أي والله لن أنسى ولو عشت
ألف سنة قول المرحوم زوجي . « أليس
كذلك يا جول ؟ » وجواب الطفلة .
« أجل » .

زوجة كابوليتو : كفي عن هذا الحديث أرجوك .

المربية : أجل يا مولاتي ، وإني لأضحك كلما تذكرتها وقد كفّت عن البكاء وقالت « أجل » مع أن جبينها كان قد ورم ورماً شديداً من الوقعة المؤلمة ولكنها توقفت عن البكاء حينما سألها المرحوم زوجي ذلك السؤال .

جولييت : كفي أنت أيضاً يا مربيتي عن هذا الحديث المخجل .

المربية : كففت وصمت يا ابنتي ، لقد كنت والله أجمل مولودة أرضعتها من ثديي ولقد كنت أتمنى من الله شيئاً واحداً وهو أن أحيا حتى أراك عروساً وإني لأرجو أن تتحقق أمنيتي .

زوجة كابوليتو : هذا ما كنت أريد أن أتكلم عنه . أخبريني يا جولييت ما رأيك بالزواج ؟ .

جولييت : هذا شرف لم يخطر ببالي قبل الآن .

المرضعة : إنه شرف ؟ بالحق لو لم أكن أنا التي أرضعتك لبني لقلت أنك رضعت الحكمة مع اللبن حين كنت في المهد طفلة .

زوجة كابوليتو : عليك أن تفكري الآن في الزواج ، فقد رأيت فتيات من أهل فيرونا أصغر منك سناً قد أصبحن اليوم أمهات وأنا نفسي كنت

أماً في مثل سنك هذه ، والتي لا نزالين فيها عذراء لم تتزوجي بعد . وخلاصة القول أن الشاب « بارس » الشجاع يلتمس الزواج بك . إنه شاب في غاية الجمال ، شاب لم تحو الدنيا له مثيلاً ، شاب كتمثال من الشمع . إنه شاب لا تنبت حدائق فيرونا وبساتينها إذا الصيف هل ، زهرة أجمل منه .

المربية : حقاً إنه زهرة ، وحق الله إنه لزهرة حقاً .

زوجة كابوليتو : فما رأيك يا بنتي في هذا الفتى الشريف ؟ لسوف ترينه الليلة في مأدبتنا ، فتقرأي في وجهه ما تطويه نفسه . . إنك لواجدة في صفحته أسطر الفرح مكتوبة ببراعة الجمال ، وتأملي سائر تقاطيعه وجملة ملامحه ومعالمه لتري كيف يجتمع منها الرضا ويتألف من تناسبها وتقاسيمها الرضا والانشراح وما يغيب عنك إدراكه من ذلك الكتاب الجميل تجدين شرحه على هامش عينيه مسطوراً ، إنه والله لكتاب حب ثمين ، وإنه لعاشق غير مقيد ، أو كتاب لم يجلد ، فلا يعوزه لكي يستكمل البهاء غير الغلاف ، مهما كانت تكلفته وإذا كان

السمك يعيش في البحر مختبئاً ، فلا عجب أن يخفي الحسن الهادي حسناً خافياً وجمالاً باطنياً وأن هذا الكتاب في جماله ليجمع بين دفتيه المجد والمال والجاه فإن رضيت يا ابنتي ، مشاركته في كل ملكوته ، وأنت بالظفر به تكثرين ولا تقلين . فما قولك باختصار . هل في وسعك الميل إلى بارس والقبول بحبه ؟

جولييت : سوف أرى هل أميل ولو أن النظر إلى الميل حافز مستحيل . ولكن موافقتكما هي التي ستشجعني وتهديني في سواء السبيل .

(يدخل خادم)

الخادم : لقد حضر المدعوون يا مولاتي ، وكل شيء جاهز . فوجودك مطلوب ، وقد سأل الضيوف عن الآنسة جولييت ، وأرجوكما أن تسرعا نحو القاعة .

زوجة كابوليتو : حسناً سنحضر حالاً . (إلى جولييت) لا تنسي الترحيب بالكونت دي بارس .

المربية : انطلقي يا ابنتي والتمسي ليلة سعيدة وأيام هناء وحياة ملؤها الحب والنضارة .

(يخرجن)

المشهد الرابع

عين المكان . شارع .

(يدخل روميو ، وماركو ، وفوليو ، وخمسة أو ستة مقنعين ، وحاملو مشاعل وآخرون) .

روميو : هل ندخل بلاكلام ولا اعتذار ، أم يجب أن نقول كلمة نعتذر بها لحضورنا متأخرين .

فوليو : لا ، لا ضرورة للكلام والاعتذار . . ما لنا وللمقدمات وما جئنا بك لتكون « كوبيد » متنكراً حاملاً قوس التتر ولا تحتاج إلى تمثيل وتلقين ، فليأخذونا على ما هم آخذونا ، فسنرقص رقصة أو رقصتين ثم ننصرف .

روميو : أنا لن أرقص ، أعطوني مشعلاً أنير لكم الطريق وما أحوج المغموم القاتم النفس إلى نور يستضيء به .

ماركو : أي روميو النبيل ، يجب أن نجبرك على الرقص في هذه الحفلة .

روميو : كلا . صدقاني إذا قلت ، إن الرقص لا

يصلح إلا لكما ، في حذاء خفيف ونعل
لين ، وكيف يرقص من كانت نفسه من
رصاص يلصقه بالأرض فلا يستطيع
حراكاً .

ماركو : أنت عاشق يا روميو فاستعر من كيوبيد
جناحين وحلق بهما في أفق الغرام عالياً .

روميو : لقد جرحني كيوبيد بسهم أضناني فكيف
أحلق بجناحيه ، وكيف لمثلي أن يطير ،
وأنا بحمل الحب مثقل يكاد يغرقني .

ماركو : يا عجباً للحب في تناقضه ، ناعم رقيق
ولكنه ظالم مستبد .

روميو : أفتحسب الحب شيئاً رقيقاً ؟ لا والله
إنه لخشن جاف يخز كالشوك وخزاً .

ماركو : إذا كان الحب خشناً معك فكن خشناً
معه، ولتخزه على وخزه فإنك إن تفعل
تنتصر عليه. آتوني قناعاً ما أتقنع به وأنا
الكفيل لكم بأن ألاقي الحب وجهاً لوجه
أو قناعاً لقناع، لا يهمني بعد ذلك عيب
في الخلقة يبدو ولا قبح ينكشف للعين
الفضولية أو النظرة المتفحصة فما فاز
بالمتعة غير الشجاع .

فوليو : هيا بنا ندخل فلن يهتم إذا رآنا أحد في
الحفلة إلا برقصنا .

روميو : ولكن اعطوني مشعلاً استضيء به واتركوا إخوان العبث المشرقي القلوب يطؤون الشوك بأقدامهم ، ويجازفون في الحب بنفوسهم ، أما أنا فإني بقضاء الحب محكوم ، وفي حفل الهوى والمهرجان ، حامل مشعل يقنع بالنظر ولا يشارك في الميدان ، فأنا قد قضي علي وفي الغرام غرقت .

ماركو : هيّا بنا نخرجك من بؤرة الحب التي غرقت فيها حتى أذنيك ، هيا فإننا بهذا التلكؤ والتردد كمن يحرق المشاعل في نور النهار .

روميو : أتتحدث عن نور النهار والعتمة تحيط بنا ؟ .

ماركو : إنني أعني أننا بهذا التردد نبدد أضواء مشاعلنا عبثاً ونحرق لهبها بلا جدوى كإشعال المصابيح في نور النهار .
خذ يا عزيزي منا القصد الحسن ، والنية الطيبة لأن حكمنا إنما ينبع من نيتنا كما يصدر عن تأملنا وحكمتنا .

روميو : إذا كنا حسني النية في ذهابنا إلى هذه الحفلة التنكرية ، فإن الحكمة ليست في ذلك .

ماركو : وهل أستطيع أن أسألك عن السبب ؟
روميو : لقد جاءتني رؤيا أثناء نومي .
ماركو : وأنا كذلك رأيت حلماً .
روميو : وماذا كان حلمك أنت ؟ .
ماركو : ولكن كثيراً ما يكذب الحالمون .
روميو : بل كثيراً ما تتحقق الاحلام

ماركو : رأيت ملكة الجن معك . وقد استحالت رقيقة لا يزيد حجمها عن حجم فص خاتم على سبابة عملاق في عربة تجرها كائنات دقيقة ، تداعب أنوف الرجال وهم نيام ، عجلاتها من أرجل العناكب وجناحاها من الجراد وأغطية نحرها من خيوط القمر والسوط في يدها ، من عظام الجنادب قبضته ، ومن دقائق خيوط العناكب حباله وحوذيتها بعوضة صغيرة سوداء الرداء ، لا تزيد في حجمها عن نصف حجم الدودة ، ومركبتها جوف قطعة من قشر البندق ، وهي في هذا الموكب تسير إذا الليل عسعس وهدأت الطبيعة ، وسكن كل حس . مسافرة في عقول العشاق وألبابهم مخترقة وجدان الشباب ومشاعرهم ، فيحلمون بالحب ، كما تمر على أقدام محترفي الملق والبلاط وحاشية

الملوك ، فيحلمون بالركوع والسجود وعلى أنامل المحامين فيحلمون بقبض الأتعاب من موكلهم الجديد وعلى شفاه الحسان والغيد ، فيحلمن بالقبلات تكراراً بعد ترديد .

وملكة الجن في غضبها على الشفاه المعسولة ما يزيدها لهيباً ويحيل دفئها ناراً كالوقود ، وأن ملكة الجن لتركض أحياناً فوق أنف خادم في بلاط ، أو بعض الاتباع في خدمة السلطان ، فيحلم بخلعة ظريفة أو منصب جديد ، وأحياناً بسوطها تمس أنف كاهن فيحلم حينئذٍ بمعاش أو وقف أو مزيد في الموارد ، وأحياناً تمر فوق عنق فارس محارب ، فيحلم بقتل اعدائه من الأغراب وبفنون الحرب من كل غدر وكمين وبالطبول تقرع في أذنيه ، فيفتح على دقاتها عينيه ، ولكنه لا يلبث أن يذهب في النوم غير وجل ولا متهيب . تلك هي الملكة التي تضفر أعراف الخيل ليلاً والعجوز التي تحتضن العذارى وهنَّ نائمات لتعلمهن كيف يتحملن العناق وبألفن الاحتضان ويحملن بالبنين والبنات . .»

روميو : كفى يا ماركو كفى .. إنك تتحدث وكأنك لا تقول شيئاً .

ماركو : هذا صحيح فإنني أتحدث عن الأحلام . وهي من بنات العقل الفاتر ، والخيال الباطل لا تلدها غير تصورات وأوهام أرق في نسماتها من العليل ، وأشد تقلباً من الرياح ، التي تهب الساعة على صدر الشمال المتجمد وتعود غاضبة نحو الجنوب البليل تقطر الندى .

فوليو : إن هذه الرياح التي تتحدث عنها قد ابعدتنا عن ذواتنا ، وقد جاء موعد العشاء ، وسوف ندخل المأدبة بعد فوات الأوان .

روميو : بل أخشى أن نكون مبكرين أكثر مما يجب ، فإن نفسي تحدثني بأن قدراً من السماء معلقاً على حفلة الليلة وحضورنا إليها ، وكأن هاتفاً في صدري يهتف بي أن نهاية حياتي ستكون قبل الأوان ولكن لتتحقق مشيئة الله فهو الذي يوجه سفينتي ويدفع في خضم الحياة بزورقي .. هيا بنا أيها الأصحاب .

فوليو : هيا بنا ..

(يخرجون)

المشهد الخامس

عين المكان ، حجرة في منزل كابوليتو . يدخل كابوليتو وجولييت وآل كابوليتو فيرحبون بالمدعوين والمتنكرين .

كابوليتو : أهلاً وسهلاً بكم أيها السادة ! إن الحسان المِلاح السليمات الأقدام سيراقصنكم .
آه ، لكن يا سيداتي الجميلات إنكن الليلة عن الرقص متمنعات ومن الحلبة نافرات . اتأباه ذات الدلال ، وتجعل الرفض بعض أدلة الاحتشام والجمال ؟
ولكن أقسم يميناً أنها لذات عيب في قدميها ، أو أذى في أصابع رجليها . .
مرحباً مرحباً أيها السادة ، قديماً كانت لي أيامي ، وصولاتي وجولاتي . ولقد لبست قبلكم القناع ، وهمست في آذان الحسان الكلام ، وجعلت الهمس والمخافتة بأحاديث الحب في آذانهم دأبي وغرامي . ولقد مضى زماني . . فمرحباً بكم أيها السادة . اليوم لكم . أيها الموسيقيون اعزفوا ، وليفسح المكان

للرقص . وهلموا أيها الحسناوات إلى الرقص .

(تعزف الموسيقى وهم يرقصون)

كابوليتو : (مخاطباً الخدم) مزيداً من الأنوار أيها الأنذال . . وضعوا الموائد بعضها فوق بعض واطفئوا المواقد ، فإن الحر في القاعة قد ازداد . هذا يوم جميل ، مرح طاب عباً ونهلاً ، وجاء وافياً مستكملاً . هلموا يا شباب إليه . تعال أنت يا بن العم كابوليتو لنذكر معاً آخر مرة لبسنا فيها القناع .

ابن العم : وحق السيدة مريم أظنها منذ ثلاثين سنة .

كابوليتو : لا يا بن العم . ليس إلى هذا الحد ، لقد كان ذلك من ليلة زواج لوسنشيو ، وقد مضى على هذا الزواج حوالى خمس وعشرين سنة . . لقد كنا في ذلك الحين نتنكر، ونرقص ما شاء لنا الرقص .

ابن العم : لا . لا . لقد كان أكثر من ذلك . . إن ابنه اليوم أكبر من ذلك سناً ، إنه الآن في الثلاثين .

كابوليتو : لا تقل لي ذلك إن ابنه كان قاصراً من سنتين .

روميو : من يا ترى تكون تلك السيدة التي تمسك بيد ذلك الفارس ؟ .

الخادم : لا أدري يا سيدي .

روميو : إنها وحق الله لتلقن المشاعل كيف تزداد نوراً كأنها على خد الليل اشبه بجوهرة ـ نادرة على قرط في أذن زنجية حسناء . جمال أسمى من ان يكون للمتعة . وحُسن أغلى من أن يوجد على الأرض تلك حمامة بيضاء وسط غربان ، لا حسناء بين أتراب حسان . . وحين تنتهي هذه الرقصة سوف أراقبها أين ستجلس ، فأذهب لأصافحها وألمس كفّها فإن البركة كلها ليدي القاسية في لمسة من تلك اليد الغضّة .
أيتها العين احلفي هل أحب القلب قبل الآن ؟ فوالله لم أر الجمال الحقيقي إلا الليلة وفي هذا المكان .

تيبالت : هذا بلا شك صوت واحد من آل مونتاغو . يا غلام هات سيفي . عجباً ! أيجرؤ هذا العبد على المجيء إلى حفلتنا متنكراً وخافياً وجهه ليهزأ بنا ، وينتهك حرمتنا ، أقسم بشرف هذا البيت لأقتلنه فما في قتله من ذنب ولا إثم .

كابوليتو : ما لك يـا بـن العم غاضباً مزمجراً

هكذا ؟ .

تيبالت : ألا ترى يا عماه هذا الشاب من آل مونتاغو عدونا الألد ، جاء يحط من قدرنا ويسخر من عيدنا هذه الليلة .

كابوليتو : أظنه الشاب روميو أليس كذلك ؟ .

تبالت : أجل ، هو روميو الحقير .

كابوليتو : هون عليك ، ودعه في سلام ، انه يبدو سيداً محترماً ، وان فيرونا والحق يقال لفخورة به ، تجسده لفضائله وآدابه ونزاهته . قسماً ما كنت لو اعطيت ثروة هذا البلد لأحط من قدرَه وهو في بيتي ، فكن صبوراً ولا تهتم به ، هذه إرادتي فإن كنت تحترمها كن بشوشاً ولا تبد هكذا عبوساً فإن هذا لا يليق في عيد طيب ، وحفلة مرح وحبور .

تيبالت : بل يليق حين يكون مثل هذا النذل ضيفاً ! أنا لا أحتمل وجوده في الحفلة .

كابوليتو : ولكنه محتمل عندي . عجباً ! أيها الفتى ألا تسمع قولي ؟ انه سيبقى مكرماً هنا . أأنت سيد هذا البيت أم أنا ؟ أتريد أن تثير فتنة بين ضيوفي ، وتثير مشكلة في بيتي أفلا تهدىء روعك أيها الفتى ؟

تيبالت : هذا عار يا عمّاه .

كابوليتو : امض . . امضِ . . انك لغلام غرٌ مغفل . أهكذا يكون السلوك ، أهكذا تعارضني ؟ (إلى الموسيقيين) زيدوا الأضواء إشراقاً . (إلى تيبالت) تمهّل يا هذا ، إنك لفتى جريء . اسكت ولا ترفع صوتك وإلا . . (إلى الموسيقيين) زيدوا الأضواء وهجاً . . . (إلى تيبالت) العار يا هذا سأسكتك بنفسي . . (إلى المدعوين) أيها السادة تابعوا لهوكم فإن اليوم يومكم .

تيبالت : لا يجتمع الصبر والغضب في مكان واحد ، ولهذا فإني منسحب ولكن هذا الدخيل لن يترك بغير حساب .

(يخرج)

روميو : (إلى جولييت) إذا كنت أدنس بيدي الذليلة هذا الهيكل المقدس الطاهر فإن جزائي هذا يا سيدتي الحسناء ، شفتاي اللتان تحجّان إليك في خجل مستعدتان أن تمسحا أثر اليد الخشنة بلثمة رقيقة حانية .

جولييت : أيها الحاج الكريم لقد ظلمت يدك فيما وصفتها به وهو دليل تقوى وعبادة صادقة

فيك لأن للقديسين والأبرار أيادي يمسها الحجاج، ويلمسها القصاد، ولمس اليد لليد عند الحج تقبيل .

روميو : أليس للقديسين شفاه كما للحجاج شفاه ؟ .

جولييت : نعم أيها الحاج ولكنها شفاه للصلاة والدعاء .

روميو : إذن دعي الشفاه أيتها القديسة العزيزة تصنع ما تصنع الأكف ، دعيها تدعو وتصلي ، حتى لا يتحول الايمان إلى يأس ويتبخر الأمل من النفس .

جولييت : إن القديسين لا يتحركون ، وان باركوا المتضرعين والمصلين .

روميو : إذن لا تتحركي ريثما أبتهل ويستجاب لابتهالي ويتحقق توسلي ، وبذلك يتطهر ذنبي من شفتيّ بشفتيك .

(يقبلها)

جولييت : وعندئذٍ تكون شفتاي قد اقترفتا ذنباً وهما تطهران ذنباً مثله .

روميو : يا له من ذنب حلو عذب . فردي على شفتيّ الذنب الذي أخذته منهما .

جولييت : يا لك من طمّاع .

المربية : سيدتي ، إن والدتك تناديك .

روميو : ومن هي والدتها ؟ .

المربية : لك الله أيها الشاب . . . أمها هي ربة هذا البيت، التي نعمت كرماً وفضلاً وأنا التي رضعت ابنتها التي كنت تتحدث الساعة إليها ولا أخفي عليك أن من يستطيع أن يملكها ويظفر بها تتفتح له أبواب السعادة وتبتسم له الدنيا .

روميو : (لنفسه) إذن هي من آل كابوليتو ؟ أيها القدر الغريب ، لقد جَعلتَ حياتي لعدوي ديناً يستقضيه . ورهنتني لخصمي رهاناً لا فكاك منه .

فوليو : هيا بنا ننصرف . لقد كانت سعادتنا على أحسن ما يكون .

روميو : أجل هذا هو ما أخافه ، ولو بقينا لانقلب تعاسة وحزناً .

كابوليتو : (إلى المدعوين) أيها السادة : لا يزال في الوقت فسحة فلا تذهبوا فإن الوليمة مستمرة ، وفي اللهو بقية ، وفي الحسان دلالاً . يا عجباً . أهكذا تبكرون في الذهاب . شكراً لكم ، شكراً لكم أيها الكرام ، وطاب ليلكم . يا غلام : قرّب

الأضواء وأكثر من المشاعل ، والآن إلى
النوم ، فإن الليل مدبر .

جولييت : أتعرفين يا مربيتي من هو ذلك الشاب
الذي يبدو هناك منصرفاً مع الآخرين ؟ .

المربية : هو ابن الشيخ تبيريو .

جولييت : وهذا الشاب الذي يهمّ بالخروج .

المربية : أظنه الشاب بتروشيو .

جولييت : ومن ذلك الفتى الذي يسير خلفه والذي
لم يرقص أبداً ؟ .

المربية : لا أعلم من يكون .

جولييت : اذهبي واسألي عنه ، فإن كان متزوجاً
سيكون فراش عرسي فراش نعشي .

المربية : إنه يدعى روميو وهو من اسرة مونتاغو ،
والابن الوحيد لكبيرها ، خصمكم
اللدود .

جولييت : لقد نبت حبي الوحيد من بغضي الوحيد ،
تلاقيا وهما لا يدريان ، وتعارفا بعد فوات
الأوان ، فيا له من حب يولد في قلبي
ويفرض علي أن أهتم بألد اعدائي .

المربية : ماذا تقولين ؟ .

جولييت : أبيات من الشعر سمعتها التو من شاب كان يراقصني .

(صوت من الداخل ينادي « جولييت! »)

المربية : ها نحن قادمتان . (إلى جولييت) هيا بنا فقد انصرف جميع الضيوف .

الفصل الثاني

المشهد الأول

فيرونا . طريق تطل عليه حديقة كابوليتو

(يدخل روميو)

روميو : (لنفسه) كيف أمضي وقد تركت قلبي هنا ؟ أيتها الأرض اقفلي راجعة وابرزي مركزك خارجاً . (يدخل فوليو وماركو) .

فوليو : روميو ! ابن العم روميو ! .

ماركو : لا خير في البحث عنه ، ولعله قد تسلل عائداً إلى بيته وأحسبه الآن في سريره .

فوليو : كلا ، فقد رأيته يجري في هذه الناحية ويثب فوق هذا الجدار ، ناده يا ماركو لعله يستجيب لك .

ماركو : سأناديه وسأستخدم السحر : يا روميو ! أيها العاشق ! أيها المجنون ! هلم اظهر ، هيا ولو في صورة زفرة حَرّة ، أو تنهيدة مضطرمة ، أو أنشدنا أغنية ، أو ابعث إلينا نغمة محزنة ، لنطمئن عليك .

قل ها أنذا أوفه بكلمة هيام ، أو اهدل
كما يهدل اليمام ، تكلم مع « فينوس »
إلٓهة الجمال ، كلمة واحدة من كلمات
الحب والخيال ، لابنها كيوبيد الأعمى
ووريثها إلٓه السهام والنبال . أقسمت
عليك يا روميو بلحاظ روزالين ، وبهاء
جبينها ، وحمرة شفتيها اقسمت عليك
بقدمها الصغيرة ، وساقها المستقيمة أن
تظهر للعيان عليك الأمان .

فوليو : لو سمعك روميو لغضب منك .

ماركو : كلا لا يغضبه كلامي وإنما الذي يغضبه أن
استحضر روحاً في شكل حسنائه ، وإن
لم يكن لها مثيل في طبعها وبهائها
وجمالها ، فإذا ما مثلت أمامه وعزمت
عليها ، فاختفت عن عينيه وتلاشت من
ناظريه ، هاج بلا شك وغضب ، واشتعل
في نفسه لظى الحب ، ولكن دعائي هذا
بريء مقبول لأنه باسم حبيبته الجميلة ،
وأنا لا أناديه إلا لأنبهه .

فوليو : هيا بنا فإني رأيته قد اختفى وراء هذه
الأشجار في خلوة مع الليل قبل أن يدركه
النهار ، لأن الحب أعمى والظلام يناسب
العمى .

ماركو : إذا كان الحب أعمى ، أنى له أن يصيب الهدف ، وأكبر الظن عندي انه الساعة جالس تحت شجرة ، يتخيل حبيبته ثمرة من الأثمار ، فتهبط عليه ، ندية باكرة . طاب ليلك يا روميو ، فإني منطلق إلى سريري لأن افتراش الأرض في هذا البرد لا يجلب النوم . هيًّا بنا يا فوليو .

فوليو : هيا بنا ، فلا فائدة من البحث هنا عمن لا يريد أن يظهر .

(يخرجان)

المشهد الثاني

نفس المكان . حديقة كابوليتو

(يدخل روميو)

روميو : (لنفسه) من لم تؤلمه الجراح يسخر من الندوب . ولا يعرف الهوى إلا من يكابده .

(تخرج جولييت إلى النافذة)

صمتاً يا لساني ، وسكوتاً يا شفتي . إنه الشروق وجولييت الشمس . أيتها الشمس البهية اطلعي واخسفي القمر الحسود الذي غدا مريضاً ، شاحباً ، لأنك أحسن منه بهاء ، وأجمل منه ضياء . .
رباه . . . إنها الحسناء التي أحببتها .
ليتها كانت تعرف محبتها في نفسي .
ربَّاه انها تتكلم ، ولكن لا تقول شيئاً فماذا ترى وراء انفراج شفتيها . . . ان عينيها تناجيني ، ولا بد لي من إجابتها . ان في السماء نجمين من أجمل نجومها يريدان احتجاباً في شأن لهما فطلبا إلى عينيها أن يشعا مكانهما حتى يعودا من غيابهما .

فماذا يكون لو أن عينيها كانتا في موضع هذين النجمين . . . أو كان هـذان النجمان في محجريها ، إذن لراح بهاء خديها يخزي ضوء هذين النجمين ، كما تخـزي ضيـاء شمس النهـار ضـوء المصابيح . ولملأت عيناها أقطار السماء ونواحيها سناء وهاجاً يغري الطير بأن يشدو ، ويغرد ، واهمة أن النهار قد أشرق وان الليل قد اختفى . يا لله ، لقد أسندت خدها إلى راحة يدها فيا ليتني كنت قفازاً في تلك اليد ، لألامس ذلك الخد .

جولييت : يا ويحي ! . .

روميو : (لنفسه) ها هي ذي تتكلم . . أيها الملاك البهي تكلم مرة أخرى فإنك في إشراقك ، وروعة ضيائك ، كرسول ذي أجنحة من السماء إلى أعين البشر الشاردة المتطلعة إليه وهو يركب السحب المتباطئة السابحة فوق صفحة الهواء .

جولييت : (لنفسها) روميو . . . روميو أين أنت يا روميو ؟ ألا أنكر أباك وتخل عن اسمك وإلا فأقسم على الوفاء بحبي . . فأنكر أنا اسمي ونسبي واتخلى عن كابوليتو .

روميو : أألزم السكوت لأسمع المزيد أو اجيبها

الآن ؟ على ما قالته ؟ .

جولييت : (لنفسها) ليس فيك يا روميو عدواً لي غير اسمك فليتك لم تكن من آل مونتاغو . . .
فإن خلعت اسمك ، لن تكون سوى ذاتك ونفسك ، ولكن ليت شعري ماذا يهم من اسم مونتاغو هذا وهو ليس يداً ولا قدماً ولا ذراعاً ولا وجهاً ولا شيء من جسم الإنسان وصفاته . . أواه ، ليت لك اسماً آخر ، إذ ماذا في الاسم ؟ وما الداعي إليه ؟ .
لو سمينا الوردة بغير اسمها ، لما كانت أقل طيباً ، ولما نقصت عطراً وعبيراً فواحاً . . ولو لم يسم روميو باسمه ، لما نقص شيئاً من فضائله التي أحبها .
روميو ! تخلَ عن اسمك ، أهبك نفسي كلها وأملّكك قلبي كله .

روميو : (مخاطباً جولييت) ليكن إذن ما تريدين ، فلتسميني « الحب » أتعمد به عماداً جديداً ، ولن اسمى روميو بعد الآن .

جولييت : من هذا الذي احتجب بستر الليل فاسترق السمع إلى همسي لنفسي ؟ .

روميو : لا أدري بأي اسم أجيبك . فقد أصبح اسمي لديَّ بغيضاً لأنه اسم عدو لك ،

ولو كان مكتوباً لمزقته تمزيقاً .

جولييت : لقد عرفت هذا الصوت وإن لم تسمع أذناي منه غير بضع كلمات . ألست أنت روميو؟ ألست من آل مونتاغو؟ .

روميو : ما أنا يا ملاكي الجميل لا هذا ولا ذاك إن كان كل منهما عندك مكروهاً .

جولييت : كيف وصلت إلى هنا أخبرني ، ولماذا ؟ إن جدران الحديقة لشاهقة ، والموت راصد لك إذا ما اهتدى أحد من اسرتي إليك .

روميو : على أجنحة الحب طرت إليك يا جولييت ، لأن الحب لا تمنعه الأسوار العالية ، والحب جريء كبير لا يكبره شيء ولا يمنعه سد ولا يحتجزه جبل ولا طود ، ولن يحجزني دونك من أهلك أحد .

جولييت : ولكنهم إذا اكتشفوك قتلوك !

روميو : إن في لحاظك ما هو أشد فتكاً من سيوفهم مجتمعة . فإن تنظري نحوي نظرة رضا وحب ، أكن في مأمن من شرهم .

جولييت : لا أود ولو ملكت العالم ان يروك هنا فيؤذوك .

روميو : إني مستور بالليل الذي يحجبني عن انظارهم ، ولو أنك أحببتني لم أحفل بمجيئهم إذ خير لي أن تنتهي حياتي سريعاً ببغضائهم من أن يتأخر عني الموت وأنا لحبك السائل المحروم .

جولييت : أخبرني ما الذي جاء بك إلى هذا المكان ؟ .

روميو : الحب هو الذي قادني إليه ، الحب دفعني أولاً إلى السؤال عنك فعرفت ، هو أعارني النصح وأنا أعرته العينين . ولئن لم أكن في السفين زورقاً هارباً ، فإني لمهتدٍ إليك ولو فصلت بيننا البحار ، وترامى الأوقيانوس أمامي حاجزاً هائلاً ، ومن يهتدِ بالحب فلن يضل سبيلاً .

جولييت : لولا أن الليل يحجب في هذه الساعة وجهي لرأيت أرجوان الحياء عليه ، خجلاً مما سمعتني الليلة أتفوه به ، كم اتمنى لو ألجأ إلى الإنكار ، واصطنع المداراة ، ولكن حاشا أن أفعل ذلك . فوداعاً أيها الكذب ، وسحقاً لك أيها النفاق . ويكفيني أن تخبرني هل أنت تحبني

حقاً . أنا أعرف أنك قائل « نعم » وإنني
مصدقتك . ولكنك إذا أقسمت فقد تحنث
بعهدك . قد يخون المحبون مواثيق
أعطوها قائلين : « إن إيمان المحبين لا
أمان لها » . أي روميو النبيل إذا كنت حقاً
تحبني فيكفيني منك أن تصارحني
بإخلاص. أما إذا كنت تحسب أنك
مستطيع ان تستهويني بسرعة وتستميلني ،
فليس لك عندي غير الإعراض والإباء
والامتناع الحق الحق أقول يا روميو انني
أحببتك ولكن لا تعتقد اعترافي هذا تسرعاً
مني وتصرفاً غير حكيم . بل ثق أنني
أصدق مودة وحباً من أولئك اللاتي يخفين
حبهن وراء التكتم والمكابرة . ولقد كان
أجدر بي أن أكون احرص من هذا الذي
بدا مني ، ولكنك استمعت إلى نجواي
في جنح الليل قبل ان أستوثق من حقيقة
حبي ، فاصفح إذن عني ولا تأخذ
تصريحي بحبي على محمل الاستسلام
والنزق، فإن الحب الصادق، غلبني على
أمري، وبعد أن رأيتك في الظلمة قد
اكتشفت وعرفت .

روميو : أقسم لك بهذا القمر الذي يضيء أعالي
الشجر ، وأغصان الثمر أنني . . .

جولييت : (مقاطعة) كلا . لا تقسم بالقمر ، فليس له من ثبات ولا استقرار إنه يتحول ويستدير ويمحق ويتغير ، طيلة أيام الشهر ، حتى لا يكون حبك مثله قلباً متغيراً ومتبدلاً .

روميو : إذن بأي شيء أقسم ؟ .

جولييت : لا تقسم أبداً وإذا لم يكن بد من القسم ، فاقسم بحياتك ، أقسم بشخصك الكريم الذي أصبح ني معبوداً وأصبحت له عابدة ، فإني لهذا القسم مصدقة .

روميو : إذا كان حبي ومشتهى قلبي . . .

جولييت : (مقاطعة) حسبك لا تقسم ، فإنني لا أود أن تكون معاهدة بيننا الليلة ، فإن في ذلك عجلة لا حاجة إليها ، وتسرعاً لا موجب له ، ومباغتة متناهية ، كالتماع البرق لا يكاد يومض حتى ينطفىء ، ولا ينبثق حتى يتوارى . والآن طابت ليلتك أيها العزيز ، إن نور هذا الحب لا يلبث على أنفاس الصيف وحرارته المنضجة أن يصبح زهرة فواحة ، حين نلتقي للمرة الثانية ، الآن استودعك الله ، استودعك ، ولتجدن من الهناء والراحة والغبطة في نومك ما أنا واجدته الساعة في صدري .

روميو : أواه . . أأتركك هكذا غير مطمئن ؟ .

جولييت : ولكن أية طمأنينة يمكن ان تظفر بها الليلة ؟ .

روميو : نتعاهد الحب إخلاصاً بإخلاص .

جولييت : اعطيتك إياه قبل أن تسألنيه وبودي لو أهبه لك مرة أخرى .

روميو : أتريدين استرداده ، لماذا يا حبيبتي ؟ .

جولييت : لأمنحك إياه ثانية إن أردت ، لأنه كل ما عندي ، وإن حبي لمترامٍ كالبحر عميق كأغواره ، مهما أعطيتك منه لم ينفد ، لأنه بلا نهاية ولا حدود .

(المربية تنادي من الداخل)

إني أسمع صوتاً فأستودعك الله أيها الحبيب العزيز .

هأنذا آتية يا مربيتي .

يا مونتاغو العزيز ناشدتك أن تكون في الحب مخلصاً وصادقاً .

انتظر لحظة فإني راجعة إليك .

(تتوارى عن نظره)

روميو : أيها الليل الذي أنت كل سعادتي أخشى وأنا الساعة مختف بأستارك أن يكون هذا كله رؤيا في المنام من بعض أحلامك ، فقد تناهى في العذوبة والسعادة حتى يكاد

يكون سراباً ،يتمثل صوراً وأوهاماً .

(ترجع جولييت)

جولييت : إليك يا روميو العزيز قبل أن نفترق ويطيب ليلك ، فخذها مني صريحة مختصرة : إن كان قصدك في الحب شريفاً ، وكانت غايتك منه زوجاً عفيفاً فابعث إليّ رسولاً غداً لأوافيك معه ، وحدد الزمان والمكان اللذين يتم فيهما عقد القران ، وأنا أضع مصيري كله عند قدميك وأتبعك إلى أبعد مكان في هذا العالم إذا أنت ذهبت إليه .

المربية : (من الداخل) يا سيدتي ! .

جولييت : هأنذا آتية . (لروميو) أما إذا لم يكن هذا هو غرضك ، فكل الذي أرجوه منك . . .

المربية : (من الداخل) يا سيدتي ! .

جولييت : هأنذا قادمة يا مربيتي . (لروميو) كل ما أطلبه منك هو أن تكف عن ترددك إليّ ، ودعني لأحزاني . سأرسل إليك رسولاً .

روميو : إن روحي ستبقى إلى الغد في لهفة على موعده .

جولييت : طاب ليلك ألف مرة .

(تبتعد عن النافذة)

روميو : بل أنحس الف مرة وأسوأ ، إذا كان قد احتجب عني فيه بهاؤك واختفى عن عيني سناؤك إن الحب ليمشي إلى الحب ، كما ينصرف الولدان عن الدفاتر والكتب . ولكن الحب حين ينصرف عن الحب ، يروح كالولدان حين ينطلقون إلى المدرسة واجمين مطرقين متباطئين .

(تعود جولييت)

جولييت : روميو ! روميو ! ويلي . . إنه لا يسمع ندائي فمن لي بصوت باز أستعيد به هذا الطائر الكريم . . إن البعاد قاس فلا يصح أن يرفع الصوت له . . ولولا ذلك لهدمت الكهف الذي يختفي فيه الصدى وجعلت للهمس رنيناً مدوياً ولحملت لسان الهواء على أن يكون باسم روميو مردداً .

روميو : أسمع روحي تنادي باسمي . ما أعذب أصوات المحبين في جوف الليل ، كأنه الموسيقى الرقيقة الألحان إلى الآذان الصاغية .

جولييت : روميو ! .

روميو : هأنذا يا حبيبتي :

جولييت : في أية ساعة غداً أوفد إليك رسولاً ؟ .

روميو : في التاسعة .

جولييت : لن أتأخر عن إيفاده . . كأن عشرين عاماً تفصلنا عن موعدنا . عجباً : لقد نسيت اللحظة لماذا ناديتك أخيراً .

روميو : سأبقى لتظلي ناسية ، فليس لي غير هذا المكان موطناً .

جولييت : الصبح أوشك أن ينبلج ، فمن الخير ان تذهب ، وإن كنت لا أحب ذلك ، ولا أرضاه بل لا أحب ان تبتعد إلا كما يدع الصبي الطائر الأسير لديه ينطلق ، إذا رام ابتعاداً اجتذبه بالخيط الذي يربطه به ويقيده . ما أعجب الحب ، إنه ليغار حتى من حرية حبيبه .

روميو : وددت لو أنني كنت ذلك الطائر وأنت سجّانته .

جولييت : ذلك ما أوده ، ولكنني أخاف ان اقتلك لكثرة تدليلك والإفراط في تعزيزك . فليطب ليلك ، ليطب ليلك فإن البعاد محزن ، ولكنه عذب لذيذ ، حتى لأقول طاب ليلك حتى يكون غدك . . .

(تحتجب عن الشرفة)

روميو : ليرتاح النوم الهنيء في عينيك ، ولتنزل السكينة في وجدانك ، يا ليتني كنت النوم

والسكينة لأستمتع بهما في عينيك
وصدرك .
ولكن . . خير لي أن أذهب الساعة إلى
صومعة الراهب الكريم الذي يحبني
فأطلب مساعدته وأروي له قصتي .
(يخرج)

المشهد الثالث

عين المكان . صومعة الراهب لورنس
(يدخل الراهب لورنس يحمل سلّة)

الراهب لورانس : (لنفسه) ها هوذا الصباح الأصفر العينين يبتسم لليل العابس المتجهم ، ويلوّن السحاب المتراكم ، في الشرق بخيوط واهية من نور داكن حتى ليبتعد الليل المدبر من طريق النهار ومركبة الشمس ، كما يبتعد المخمور الثمل من طريق السابلة الرائحة الغادية . فالآن قبل أن ترنو الشمس بعينها الحمراء لتحية النهار الطالع ، وتوديع الليل المتقهقر وتجفيف الندى الرطب الدامع ، فلأملأ سلتي هذه بالأعشاب والأزهار المفيدة العصير ، الصالحة للتقطير . إن الأرض أم الطبيعة وفي الوقت ذاته قبرها . وما قبرها إلا رحمها وأحشاؤها ، ونحن بني البشر الذين نرضع من صدرها ، نستمد من ثمار بطنها أجنة مختلفة الصنوف والألوان . سبحانك اللهم ما أوفر الخواص وأكثر

المنافع التي تحتويها الأعشاب والنبات
والأزهار والثمرات . فما من شيء على
الأرض يحيا ، حتى وإن خبث ، إلا كانت
له فائدة ! وكان الخير مختلطاً بشره ،
والنفع مستمداً من صفاته وتأثيره ، وما من
شيء طيب يساء استعماله إلا انقلب خبيثاً
لسوء استغلاله ، بل ان الفضيلة نفسها
تنقلب رذيلة ، إذا لم يحسن الناس
رعايتها ، ولم يحرصوا على فضلها ووجه
استخدامها ، وقد تنقلب الرذيلة فاضلة
أحياناً . سبحانك اللهم . ان في طلع
هذه الزهرة ما يكون سماً قاتلاً وما يكون
دواءً شافياً . فإن هو شم أحيا وأنعش وإن
هو شرب أخمد الحواس . خاصيتان
متناقضتان . ولله في خلقه شؤون .

(يدخل روميو)

روميو : صباح الخير يا أبي .

الراهب : يا سبحان الله . من هذا الذي جاء يحييني
باكراً بهذه العذوبة . وهذه التحية الطيبة
المشرقة الطاهرة في مطالع الصبح ، ولا
ريب عندي في أن يقظتك يا فتى مع أول
خيوط النهار ، تنم عن مشاغل وهموم
ورأس مثقل بالأفكار ، وحيث يرقد الهم :

لا يهنأ النوم . ولكن أكثر ما يكون الهم للعجز ، فإنهم في الليل أيقاظ ، وهم في الظلمة حراس . أما الشباب الخالون من الأحزان ، فإن النوم الهنيء يطاوع منهم الأجفان فلا عجب إذا تحققت من حضورك الآن أن هناك امراً يزعجك وخطباً قد أقلقك . أو أنك لم تكن في فراشك الليلة الماضية .

روميو : القول الأخير هو الأصح ولكني كنت في أعذب متعة وأهنأ حال .

الراهب : أكنت مع روزالين . استغفر الله من كل ذنب .

روميو : أتقول يا أبي كنت مع روزالين . كلا ، فقد نسيت من تكون . لقد كانت تلك الحسناء بلية علي ومصيبة .

الراهب : لقد أحسنت يا بني بتركها ، ولكن أين كنت أذن ؟ .

روميو : سأقول لك لقد كنت في حفلة خصومنا . فأصابني فجأة من سهام فاتنة من حسانهم جرح أليم . كما أصابها مني جرح عظيم .

الراهب : أوضح يا ولدي ، ورويداً بعض هذا الذي

اسرعت في قوله وعجّلت . فإن غموضك في القول ، لا يساعد على الفهم .

روميو : إذن فاعلم يا أبت أن قلبي قد وقع في غرام ابنة كابوليتو ، كما أحبني قلبها فاتحد القلبان ، وامتزج الجسدان ، فلم يبقَ بعد الاتحاد النفسي غير ما تجمع يا أبتِ إليه من عقد القران ، وسوف أروي لك كيف اجتمعنا ، ومتى تلاقينا ، وكيف كان حبنا ، وكيف اتفقنا على الزواج وترابطنا ، ونحن سائران . أما الآن فإني أرجوك أيها الأب الكريم أن توافق على تزويجنا اليوم .

الراهب : ما هذا التبدل السريع والانقلاب العجب يا بني ؟ أهكذا تركت روزالين بسرعة وكنت لها محباً وعاشقاً صباً متيماً ؟ إن حب الشباب لا يسكن إذن عشر قلوبهم كما يزعمون ولا يقع في قرار أفئدتهم ، بل هو في أعينهم ، وفي أبصارهم . يا للغرابة ! كم من دموع مريرة سخية سكبت على خديك الشاحبتين من أجل روزالين؟ وكم من دموع أخرى ارقتها لتمثل الحب بها، وليس لها مذاق الحب الوفي ولا أمله الأمين . إنّ الشمس لم

تبدد بعد سحب آهاتك وغمائم زفراتك
وشهيقك . ولا تزال إلى الساعة ترن في
أذني صدى أناتك . بل انظر إلى
خديك . إن عليهما لأثراً من دمعات
قديمة لم تلتئم بعد ولم تمسحها كفك لقد
كان ذلك لروزالين ، ومن أجل روزالين
وها أنت ذا قد تحولت ونسيت الدمع الذي
سكبت ، ألا قل معي قولة صادق : « لا
غرابة إن وقعت النساء ما دام في الرجال
وهن » .

روميو : لقد كنت تكثر من لومي على حب روزالين .

الراهب : لم أكن ألومك على الحب يا بني ولكن لومي لك على الإغراق فيه والهيام فيه والإصرار عليه .

روميو : لقد نصحتني أن ادفن الحب .

الراهب : ما نصحتك أن تدفن حباً في لحد تقبره فيه ، لتخرج منه حباً آخر منه تتعلق به .

روميو : اليوم لا عتب يا أبت ولا ملامة . فإن الحسناء التي أحبها اليوم تبادلني الحب أما روزالين فلم تكن كذلك .

الراهب : لأنها كانت تدرك أن حبك كان كلاماً

محفوظاً وتمثيلاً ولم يكن حباً مخلصاً ينبع
من القلب . ولكن هيا بنا أيها الفتى
المتردد المتنقل في الحب ، فإني سوف
أعينك من جهة واحدة ولغرض واحد لا
أكثر: وهو ان هذا الزواج علّه يكون
السبب في إزالة العداوة والحقد بين
عائلتيكما المتناحرتين، واستبدال الحقد
بينهما بالحب، والعداء بالصفاء .

روميو : هيا بنا إذن فإني في عجلة ولهفة .

الراهب : بل تمهل ، فإن في العجلة الندامة .

المشهد الرابع

عين المكان . شارع . يدخل فوليو وماركو

ماركو : ترى أين ذهب روميو . ألم تجده في منزله ؟ .

فوليو : لم يتوجه إلى قصر أبيه حسبما قال لي خادمه الخاص .

ماركو : اعتقد ان حبه لروزالين هو سبب غيبته هذه وأخشى أن يكون تعلقه بتلك الفتاة الصفراء القاسية القلب موشكاً أن يفقده عقله ويرده مجنوناً مسلوب الإرادة من فرط الجوى وشدة العذاب في الحب .

فوليو : لقد علمت أن تيبالت قريب الشيخ كابوليتو قد بعث لروميو بكتاب إلى قصر أبيه .

ماركو : هذه دعوة للمبارزة ، أقسم بحياتي .

فوليو : وسوف يرد روميو على كتابه .

ماركو : من يستطيع ان يكتب لا يصعب عليه الردّ على كتاب يتلقاه .

فوليو :كلا . فماهذاأردت ، ولكنه سيجيب تيبالت إلى

ما طلب لأنه إذا استثير ثار ، وإذا تجرأ أحد عليه وجده الجسور المقدام .

ماركو : ويلي على روميو فهو اليوم قتل طعناً ، أصابته اللواحظ التي خرقت قلبه من عينين سوداوين في وجه حسناء بيضاء كالمرمر ، كما أصابته طلقة من أغنية غرامية وانشودة من أناشيد الهوى . لقد نفذ سهم الوليد الأعمى - إله الحب - في حبة القلب فكيف يكون نداً لتيبالت وهو على ما رأيت ؟ .

فوليو : ومن هو تيبالت هذا وماذا يمثل ؟ .

ماركو : هو أكثر مشاكسة من الهر وهو من القطط الخداش خلقاً ، ومن أصحاب الجسارة والبسالة والبطولة ، وإنه يبارز متمهلاً وكأنه يلهو لهواً ، يبارز كما تغني أنت ، محافظاً في النغمة على الوقت والمسافة والتناسب في الموسيقى ونظامها . فإذا امتشق السيف فليس عنده إلا : واحد ، اثنان ، ثلاثة فإذا ذبابة سيفه في صميم صدرك ! مبارز بكل ما في الكلمة من معنى ، وما في المجالدة من خطر .

(يدخل روميو)

فوليو : ها هوذا روميو . ها هوذا .

ماركو : ها هوذا قد أتى ولكن بدون وليفته . كأنه من نحوله قد أصبح « رنجة »[1] جافة مقددة . يا بني ، يا بني ، ما لك نحلت هكذا وتقددت كالسردين . . ها هو قد جاء ليُسمعنا غزلاً في صاحبته أين منه قصائد « بترارك » في لورا محبوبته ؟ بل انها بالنسبة لمعشوقة روميو وفاتنته خادمة في مطبخ أو منزل . وما « ديدو » إذا قورنت بصاحبته إلا قبيحة بشعة حقيرة . وما « كليوباترا » إلا غجرية . وما « هيلانة » ولا « هيرو » ربّات الجمال في التاريخ بجانبها في عينيه ، إلا بعض الفواجر الفاسقات . وما « نسبا » الشهيرة إلا نوعاً ما جميلة ولكنها ليست مثلها حسناً وبهاء . يا سنيور روميو « بونجور » أو طاب صباحك ، تحية فرنسية لجنونك الفرنسي في الوله والغرام . لقد خدعتنا ليلة أمس خدعة جيدة .

روميو : صباح الخير . . . أية خدعة تقصد ؟ .

ماركو : إفلاتك أمس منا . . . ألا تعتقد أنها كانت « هريبة » خادعة ؟ .

روميو : استميحكما عذراً . لقد كانت لديَّ مهمة

---

(١) نوع من السمك يجفف ويقدد .

مستعجلة ، وفي مثلها قد ينسى المرء آدابه وقواعد اللياقة والتعرف الحسن .

ماركو : بل قل ان المرء في هكذا حالة مضطر إلى ثني الركبتين .

روميو : أو تعني رضوخاً وقبولاً ؟ .

ماركو : لقد أصبت الهدف بتعبير دقيق ومعنى لطيف .

روميو : تعبيرك أكثر أدباً وألطف .

ماركو : بلا زهو أو فخر فأنا « جوهرة » .

روميو : جوهر ورد أم ماذا ؟ .

ماركو : كما تريد .

روميو : زهرك قد عفت رائحته .

ماركو : لندخل معاً في هذه القافية حتى نستوفيها ، لكي تبقى النكتة بعد انتهاء مضاعفاتها « وحيدة » فذة في ذاتها .

روميو : يا للنكتة الوحيدة المنفردة .

ماركو : تعال ساعدني يا فوليو وادخل معنا ، فلم اعد استطع المتابعة .

روميو : أوخزه بمهمازك قبل ان يتوقف .

ماركو : إذا كنت تركض هكذا وراء الأوزة السمينة ثائراً « مبرطعاً » فلست أجاريك . وهل كنت معك حين كنت تطارد الأوزة ؟ .

روميو : فاتك عمرك كله لأنك لم تكن معي في مطاردتها .

ماركو : سأنقرك في أذنك على هذه النكتة .

روميو : أيتها الأوزة اللطيفة لا تعضي ولا تنقري .

ماركو : أحسنت تنكيتاً وأبدعت . ولكن بالله عليك أليس هذا أحسن وأفضل من الألم والعذاب من العشق . والآن ها أنت قد أصبحت طيب المعشر ، لين الحديث ، أنيساً وكنت متوحشاً قاسياً . . . الآن أنت روميو الحقيقي .

(تدخل المربية بصحبتها خادم روميو بترو)

المربية : بترو ! .

بترو : نعم .

المربية : مروحتي يا بترو .

ماركو : أحسنت يا بترو ناولها مروحتها لتغطي وجهها الجميل .

المربية : صباح الخير أيها السادة .

ماركو : بل طاب ضحاك أيتها السيدة .

المربية : أو نحن أصبحنا في الضحى ؟ .

ماركو : ليس أقل ، لأن عقرب الساعة كاد يشير نحو الظهر .

المربية : من أنت يا هذا . إن كلامك غريب ! .

روميو : إنه انسان يا سيدتي خلقه الله ليضر نفسه

ويسيء إليها بالنكات والمزاح والهزء من خلق الله .

المربية : هو هذا أيها السيد . . لقد كان وصفاً رائعاً . هل فيكم من يدلني على مكان الفتى روميو ؟ .

روميو : أستطيع أن أدلك ، غير أن الشاب روميو سوف يكون أكبر سناً مما تتوقعين عندما ترينه ، فأنا أصغر روميو .

المربية : إنه لقول حسن ! .

ماركو : أجل لقد أساء القول .

المربية : إذا كنت روميو ، يا سيدي ، فلي حديث معك على انفراد .

فوليو : سوف تدعوه لوليمة عشاء .

ماركو : غانية ! غانية ! غانية ! .

روميو : ماذا وجدت ؟ .

ماركو : ألا ترافقنا يا روميو . . إننا ذاهبان إلى قصر أبيك لتناول الغداء هناك .

روميو : سأتبعكما .

ماركو : الوداع أيتها السيدة « العجوز » الوداع ! .

(يخرج ماركو وفوليو)

المربية : وداعاً ليس بعده من لقاء . ولكن أخبرني

من هو هذا الشخص الوقح ذي اللسان السليط .

روميو : هو رجل كثير الكلام حتى ليتكلم في الدقيقة الواحدة أكثر مما يكفيه في شهر .

المربية : لو قال شيئاً عني لأدبته ولو كان يساوي عشرة مثله مجتمعين . وإذا لم أتمكن من ذلك بنفسي وجدت من يستطيع . . . حقاً أنه لوقح فج . . . وهل أنا ممن يسخر منهن . ليذهب فيسخر من البنات اللاتي يعرفهن . أنا لست من أمثاله ولا من أشكاله . أنه قذر لئيم (تتحول إلى بيترو مرافقها قائلة) وأنت كيف رضيت لنفسك أن تقف صامتاً ولم تؤدبه ؟ .

بترو : لم أرَ أحداً أراد بك هزءاً ، ولو رأيت لخرج سيفي فوراً من غمده . فإني على القتال مقدام إذا كانت المناسبة تقتضيني الدخول في قتال أنا فيه على حق والقانون بصفي .

المربية : يمين الله لغاضبة مما جرى لي وكل عضو في بدني يرتعش . يا له من قذر لئيم وأنت يا سيدي لي كلمة معك . . إن سيدتي قد أمرتني بالبحث عنك . وقد قالت لي

كلاماً احتفظ به لنفسي . ولكني أخبرك يا سيدي إذا كنت تريد أن تقودها إلى جنة المغفلين كما يقولون تمشي بها طرق الضلال وهي لا زالت صبية طرية لم تجرب الحياة بعد ، فإنك يا سيدي تسيء إليها إساءة شديدة وتفرض عليها أمراً شائناً وأمراً نكراً .

روميو : اذكريني أيتها المربية عند مولاتك بخير وإني أحتج على ما تفوهت به . . .

المربية : أحسنت . . . أحسنت يا سيدي . وسأقول لها كل ذلك وستسر به كل السرور .

روميو : ما الذي ستقوليه لها فإنك لم تسمعي قولي إلى آخره .

المربية : سأقول لها يا سيدي انك تلومني . وأنا افهم من هذا أن ما عرضته عليها صادق ونبيل .

روميو : إذن أخبريها بأنني أطلب إليها ان تجد وسيلة للمجيء عصر اليوم إلى الكنيسة فقد اتفقت مع الكاهن لورانس على عقد قراننا في صومعته . وخذي هذا كبدل لأتعابك .

المربية : كلا يا سيدي . لا آخذ قرشاً واحداً .

روميو : أقسمت عليك أن تأخذيه .

المربية : (وقد تناولت المال منه) كن أكيداً يا سيدي أنها ستوافيك في الموعد المحدد . . أقلت عصر هذا اليوم يا سيدي ؟ .

روميو : وصاحبيها أنت عند قدومها ، وانتظري خلف جدار الكنيسة وستجدين خادمي في ذلك المكان قد جاء ليسلمك بعض الحبال لنصطنع منها سلم تخبيئنه لديك كي أستعين به ليلاً على الدخول خفية . . انطلقي واذكريني بخير عند مولاتك .

المربية : ليبارك الله يا سيدي تمهل قليلاً يا سيدي .

روميو : ماذا تقولين أيتها المربية العزيزة ؟ .

المربية : وهل خادمك ممن يكتم السر ؟ ألم تسمع القول المأثور : « كل سر جاوز الاثنين شاع ؟» .

روميو : لا تخشي شيئاً . . إن خادمي أمين مخلص كسيفي . .

المربية : حسناً يا سيدي . . . إن مولاتي أجمل فتاة ، وألطف حسناء في العالم منذ كانت طفلة تلثغ وتثرثر حين كنت أرضعها ثديي . . . فهل وصلك يا سيدي خبر

الكونت الذي يسمى بارس والذي يريد أن يقترن بها ولكنها تفضل أن ترى العمى ولا تراه ، وكثيراً ما كنت أتعمد إغضابها بقولي لها ان بارس هو الخطيب المناسب والرجل الجدير بها . ولكني أصدقك القول يا سيدي انها كلما سمعت ذلك مني يشحب لونها وتصفر خدودها . إنها تحبك يـ سيدي حباً لم يعد سراً .

روميو : أبلغيها التحية والسلام .

المربية : نعم ألف مرة (يخرج روميو) هيا بنا يا بترو فقد تأخرنا .

(يخرجان)

المشهد الخامس

عين المكان . حديقة كابوليتو

(جولييت تدخل)

جولييت : لقد أرسلتها في التاسعة ووعدتني أن تعود بعد نصف ساعة . فما الذي أخرها ؟ أتراها لم تجد روميو ؟ لا اعتقد ذلك . يا الله من بطئها . لقد كان أولى برسول الحب أن يكون خواطر وأفكاراً فإنها وحق الله أسرع عشرة مرات من أشعة الشمس طيراناً . أنفذها إلى المحب بريداً . ألم يقولوا ان الحمائم تجتذب الحب ؟ لقد صدقوا فإن اجنحتها أفضل الرسل . ثم ألم يصفوا كيوبيد إله الحب بغلام ذي أجنحة أسرع من الرياح زحفاً وجرياناً . لقد بلغت الشمس رؤوس الروابي ، وانتصف النهار ولما ترجع المربية ، فأين قضت هذه الساعات الثلاث ، ولو كانت تشعر بالحب ، ويغلي في جسدها الدم الحار ، دم ثورة الشباب، لكانت مثل البرق مسرعة ، ولحملت كلماتي إلى حبيبي ،

كسرعة كلماته إلى مسمعي ولكن الشيوخ
للأسف ثقال كالرصاص . صفر الوجوه
كأنهم عديمو الشعور . . . ولكن رباه . .
(تدخل المربية وبترو)
ها هي ذي آتية . ما وراءك يا مربيتي
العزيزة . هل رأيتيه ؟ أرسلي رفيقك
بعيداً .

المربية : اذهب وانتظر عند البوابة يا بترو .

(يخرج بترو)

جولييت : والآن أيتها المربية العزيزة الكريمة ، ماذا
وراءك . . ولكن رباه . . . ما بالك تبدين
هكذا واجمة ساهمة ؟ وقد عرفتك تروين
الأخبار حتى المحزنة منها وأنت مرحة
باشة بادية السكينة والهدوء . فعلام هذا
العبوس اليوم وذلك الحزن الظاهر ؟ لو
كانت الأخبار التي أتيتيني بها حسنة جيدة
فأنت بهذا الوجه العبوس قد أفسدت
حلاوتها . ناكرة لطرب صوتها وعذوبة
موسيقاها . اخبريني وأسرعي ما وراءك يا
مربيتي ؟ .

المربية : إنني فقط منهكة من طول المسير فهلا
أمهلتني حتى أسترد أنفاسي اللاهثة . يا
إلهي . . إن لفي عظامي ألم شديد

جولييت : خذي عظامي واخبريني ما عندك . فلا أطيق الصبر . . . بالله عليك تكلمي . . . أيتها المربية العزيزة حدثيني ولا تتباطئي .

المربية : رباه . . . لِمَ هذه العجلة ؟ وما هذا التسرع العجيب ، ألا تستطيعين أن تصبري لحظة ؟ ألست ترين أنني ألهث ولا أكاد استرد أنفاسي من شدة التعب ؟ .

جولييت : كيف تقولين أنك لا تملكين أنفاسك وها أنت تتكلمين أعذرك لتأخرك الطويل ، ويكفي أن تقولي هل لديك أخبار سارة أم أخبار سيئة ؟ .

أجيبي عن سؤالي هذا وكفى . . هيا قولي ، أسارة أخبارك أم سيئة ؟ .

المربية : لقد اخترت خبرة هينة . وإن أردت الحق ، ساذجة ، كأني بك لا تعلمين كيف تنتقين الرجال . روميو الذي وقع عليه اختيارك . ولكن أتعتقدينه صالحاً . وإن كان وجهه جميلاً ، وقسماته حسنة ، وساقاه ويداه ومعالم بدنه لا عيب فيها ولا اعتراض ، ولكنه ليس على كل حال بالرجل المؤدب المبالغ في استقباله ومجاملاته وإن كان وديعاً كالحمل . ولكن

أنت وما ترغبين يا فتاة . . هل تناولت طعام الغذاء في البيت ؟ .

جولييت : كلا . . كلا . . ولكن أخبريني ماذا قال روميو عن زواجنا . هذا كل ما يهمني أن أعرفه .

المربية : رباه . . ما أشد صداعي ، إنه لألم شديد لا استطيع وصفه . كأن رأسي يوشك ان ينفطر عشرين شطراً ، ثم ظهري . أواه . . . إن ظهري يؤلمني . . كيف سولت لك نفسك أن ترسليني أطوف جميع شوارع المدينة أفتش وأبحث وأنادي واستكشف ، حتى كدت أقع من التعب . . ما أشد قسوتك يا بنية .

جولييت : إنني آسفة على ما سببته لك من تعب ونصب ولكن أخبريني يا مربيتي الكريمة ، الحلوة ، الرؤوم ، الحدبة ماذا قال لك روميو ؟ .

المربية : لقد قال لي حبيبك ، قول سيد نبيل مخلص أمين وإنسان كريم مؤدب حليم ، وفتى جميل وسيم . ولكن أين والدتك ؟ .

جولييت : أين والدتي ؟ ما هذا السؤال ؟ إنها في

البيت . أين يمكن أن تكون اذا لم تكن في البيت . يا للعجب والله من ردودك وكلامك . ألا تقولين في الحال ما حملت من الأخبار ؟ .

المربية : عجباً أيتها الفتاة . ما بالك هكذا منفعلة مستعرة الوجدان ، ملتهبة الشعور . أهذا دواء عظامي الضعيفة وآلامي المضنيةالمحزنة ؟ كلا يا سيدتي ، ما أنا برسولك بعد الآن فاحملي رسائلك إليه بنفسك .

جولييت : لقد عدت إلى ما بدأت به . . . اخبريني فوراً ماذا قال لك روميو؟ .

المربية : هل سمحوا لك في البيت بالتوجه اليوم إلى الكنيسة ؟ .

جولييت : أجل . .

المربية : إذن عجلي بالذهاب إلى صومعة الكاهن لوراس تجدي هناك العاشق الذي سيقترن بك . . ها هوذا لون الأرجوان يقفز فجأة إلى خديك ، وها هي ملامح الفرح قد بدت على محياك . فالله لكم أيها الشباب . إذن اسرعي إلى الكنيسة . أما أنا فذاهبة في عمل آخر ، وهي جلب

سلم من الحبال لكي يتسلقه زوجك وحبيبك إلى عش الغرام إذا ساد الدنيا ظلام ، أنت تسعدين وأنا اشقى ، هيا اسرعي إلى الصومعة ، أما أنا فلا أقدر على الحركة حتى لا استطيع تناول وجبة الغذاء حتى الشبع .

جولييت : ها أنا ذا أسرع . . . فشكراً أيتها المربية . .

(تخرج)

المشهد السادس

عين المكان . صومعة الكاهن لورانس

(يدخل الكاهن لورنس برفقة روميو)

الكاهن : أرجو أن ترضى السماء عن عملك ، يا بني الذي تنوي القيام به .

روميو : آمين . آمين . ولكن اعلم يا أبت انه مهماً يحط الدهر بنا بعد هذا الزواج فلن يغير من فرحة هذه الساعة سعادتها ، ولن يمحو من الذاكرة فرحها إن الموت نفسه لن يؤثر في حبنا . . . يكفيني أنها قد أصبحت لي زوجاً .

الكاهن : كل ما أخافه يا بني أن هذه الفرحة الشديدة تعقبها خاتمة عنيفة مثلها ، فهي في انتصارها يقضى عليها ، كالنار والبارود إذا اجتمعا تلاشيا ، وإذا اجتمعا وتمددا ، انفجرا وتمددا . وإن أحلى العسل لقوي المذاق من شدة حلاوته وفرط عذوبته ، حتى ليفسد الشهيّة ، ويصد النفس عن الطعام ، لذلك يجب

عليك أن تحب باعتدال فإن أطول الحب عمراً أكثره اعتدالاً ، والمستعجل فيه كالمتباطىء سواء بسواء .

(تدخل جولييت)

ها هي حبيبتك قد جاءت . إن لقدميها من الخفة حتى لأحسب شعلة الحب بمثلها متوهجة . إن العاشق ليدوس الشوك ولا يحس وخزاً ، فإن مع الغرور خفة ، ومع الحب صبراً عجباً .

جولييت : مساء الخير يا أبتي .

(يعقد قرانهما)

الكاهن : سوف يشكرك روميو بالنيابة عنه وعني يا ابنتي .

روميو : آه يا حبيبتي جولييت إن كنت ترين في هذا الزواج ما أراه من السعادة ، وكانت لديك القوة لتظهري ما بنفسك وبيان ما في جوانحك فتكلمي واشركيني في أفراحك .

جولييت : إني لا استطيع تقدير سروري لأننا في غنى كبير ويسر شاسع ، وكنوزنا لا تفنى بهذا الارتباط الذي ارتبطنا به ، وقد بلغت سعادتي حداً لا أستطيع التعبير عنه ولا عن جزء منه .

الفصل الثالث

المشهد الأول

فيرونا . ساحة عامة

(يدخل ماركو وفوليو ، وأتباع)

فوليو : لنسرع يا ماركو الحليم ، فإن الحر يزهق الأرواح والكابوليتيون يملؤون الشوارع في هذه الساعة ، فإذا التقينا بهم فقد نشتبك في قتال معهم لأن هذا الحر يثير الدم في العروق وتضيق منه الصدور .

ماركو : إن مثلك كمثل الذي يدخل حانة فيضع سيفه على الطاولة أمامه ويقول اللهم لا تحوجني إليه ! ولكنه لا يلبث من الكأس الأولى أن يسحبه من غمده حيث لا ضرورة ولا حاجة أبداً إلى امتشاقه .

فوليو : أأبدوا أنا هكذا ؟ .

ماركو : نعم أنت . فإنك حاد الطباع سريع الغضب ككل من في هذه البلاد . وإنك لسريع الثورة والتحفز للغضب .

فوليو : وماذا أيضاً ؟ .

ماركو : ولو كان لك شبيهان بطبعك وخلقك لاسترحنا من هذا النوع تماماً ، لأن احدهما كان بلا ريب سيقتل الآخر . . أنت تتشاجر مع الناس لأتفه الأسباب ، فلا تتردد في مبارزة أحدهم لأن لحيته اغزر شعرات أو أقل من لحيتك أو لأنه يكسر بندقاً أو جوزاً وعيناك جوزيتان . بل إن رأسك لمليء بالمشاجرات كما تمتلىء البيضة بالمح . وطالما ضرب رأسك في الشجار كما يضرب البيض حتى يختلط محه ببياضه . ألم تتقاتل مرة مع رجل لأنه سعل في الطريق ومع آحر لأنه ايقظ كلبك من نومه وكان يهوم تحت الشمس . ألم تشاجر حائكاً لأنه ارتدى صداريه الجديدة قبل العيد . ومع غيره لأنه كان يربط حذاءه الجديد برباط قديم ؟ . . . هذا هو شأنك وتلك هي حدة طباعك . ومع ذلك تنصحني ألاّ أتشاجر وتلقنني دروساً في عواقب المشاجرات .

فوليو : لو كنت كما تقول لكان من السهل على أي انسان ان يستأجر طبعي هذا ساعة من الزمن ليتشاجر مع من يريد .

ماركو : ولِم لا . . . فتكلفتها قليلة على أي حال .

(يدخل تيبالت واخرون)

فوليو : وحق رأسي إن بعض الكابوليتيين آتون .

ماركو : وحق كعب نعلي لست أهتم بأحد منهم .

تيبالت : (إلى أصحابه) الحقوا بي حتى أتحدث إليهما ، (إلى ماركو وفوليو) طاب نهاركم أيها السادة ، أوّد التحدث مع أحدكما .

ماركو : التحدث فقط ! لماذا لا تجعلها كلمة وطعنة؟ . .

تيبالت : إني على استعداد لذلك يا سيدي إذا وجدت عذراً ومنحت فرصة .

ماركو : ألا تستطيع أنت تقديم العذر ؟ .

تيبالت : كفى يا ماركو . إنني أعلم أنك اتفقت وروميو . . .

ماركو : اتفقت . ماذا . أتعني أنك تريد أن تجعل منا عازفين موسيقيين ، ولكن تأكد أنك لن تسمع منا إلا « نشازاً » ونغماً متضارباً وألحاناً جافة .

تيبالت : متفقاً ، ماذا يا هذا . . أهذا كلام تقوله؟

فوليو : تذكر أنكما في شارع عام ، فإما أن تذهبا

إلى ناحية بعيدة وتتكلما بتعقل وهدوء ، أو تذهبا ، فإن الأنظار كلها تحدق بكما .

ماركو : إن اعين الناس خلقت لتنظر وتحدق . فلينظروا ويحدقوا فإني لن اتحرك من هذا المكان نزولاً عند رغبة أحد .

(يدخل روميو)

تيبالت : ليس بيني وبينكما أيها السيدان ما يدعو إلى الشجار ، فها هوذا خصمي قد وصل .

ماركو : وحق الله ما أنت ندّ له وإنك تواجه رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى إن أنت تحرشت به أو طلبت مبارزته .

تيبالت : يا روميو إن الحقد الذي أكنّه لك لا يجعلني أجد لك عندي من وصف أنسب من قولي انك جبان حقير .

روميو : وإن الحب الذي أكنّه لك يا تيبالت يحملني على غض النظر عن إهانتك هذه فلا احاسبك عليها . فأنا لست جباناً حقيراً . استودعك الله فأنت إذن لا تعرفني .

تيبالت : ليس هذا يا فتى بالعذر الذي يمحو الاهانة التي سببتها لنا فواجهنا وامتشق سيفك .

روميو : حاشا لي أن أكون قد أهنتك ولكني أحبك أكثر مما تتصور وستعرف يوماً ما سبب هذا الحب . فهلا أرضاك هذا القول مني أيها الكابوليتي ، وإنه والله لاسم أعزه اليوم كإعزازي لاسمي وأكرمه أفضل تكريم .

ماركو : ما هذا الهدوء المشين وهذا التوسل الكريه وهذا التذلل المعيب يا صياد الجرذان . هل لك في مبارزتي .

تيبالت : ماذا تريد أنت مني ؟ .

ماركو : لا أريد شيئاً سوى خطف روح من أرواحك السبع . فأنت كالقط وأما الأرواح الست الأخرى فليس لها عندي غير التجفيف والتقديد، فهلا امتشقت سيفك من غمده وتقدمت للضرب والطعان ! .

تيبالت : (يتقدم) أنا لك .

(يسحب سيفه)

روميو : دع القتال جانباً يا ماركو . . . أستحلفك بالله ألا تركت المبارزة .

(يتبارزان)

روميو : افصل بينهما يا فوليو بالله عليك واجبرهما على ترك المبارزة . . ماركو . . تيبالت ، عار عليكما أيها الرجلان . . . ألم تعرفا

أن الحاكم قد منع المبارزات في شوارع المدينة . توقفا أيها الصديقان . . .

(يمسك روميو بذراع تيبالت ليردعه عن القتال ولكنه ومن تحت ذراع روميو يطعن خصمه فيصيبه بطعنة . يخرج تيبالت هارباً ويتبعه رفاقه)

ماركو : لقد جرحت . فاللعنة على عائلتيكما معاً . إنني لا بد ميت ، أفتراه ولّى هارباً وهو سالم لم يصب بسوء .

فوليو : ماذا بك ، هل الجرح ثخيناً ؟

ماركو : كلا إنه مجرد خدش بسيط . . . أين غلامي ؟ اذهب أيها الوغد واحضر لي طبيباً .

(يخرج الغلام)

روميو : تشجع يا رجل ، فقد لا يكون الجرح بالغاً إلى هذا الحد .

ماركو : يا عجباً مثل هذا الكلب يجرح رجلاً فيقتله . إنه لمغرور ، شقي ، يبارز بالقلم والمسطرة وقواعد الحساب . فلماذا يا روميو وقفت بيننا . لقد طعنني من تحت ذراعيك .

روميو : لقد قصدت خيراً .

ماركو : احملني يا فوليو إلى بيت قريب من هنا ، فإني أخشى أن أفقد وعيي لعنة الله على عائلتيكما معاً . . . فقد جعلا مني طعاماً للديدان . عائلتيكما اللعينتان .

(يحمل فوليو ماركو)

روميو : (لنفسه) رباه . . . ! لقد جُرح صديقي بسببي جرحاً يوشك أن يودي بحياته . وسوف تسوء سمعتي ويهزأ الناس مني لإهانة تيبالت لي وسكوتي عنها . أي جولييت . . . لقد جعلني جمالك جباناً ، وأخمد جذوة شجاعتي وأذلني .

(يعود فوليو)

فوليو : أي روميو . . . روميو . . . لقد مات ماركو الشجاع الباسل الأبي .

روميو : الآن بعد أن مات ماركو فلا لين ، ولا هوادة ، ولا مسالمة ، ولا محبة . . .

(يعود تيبالت)

فوليو : ها هوذا تيبالت الشرير يعود ثانية .

روميو : خذ صفة الجبان التي وصفتني بها منذ لحظة صلفاً منك وعناداً . إن روح ماركو لتطير فوق رؤوسنا مترقبة روحك لتلحق بها ، فإما أن تذهب إليه أو أذهب أنا ، أو نذهب معاً .

تيبالت : لقد كنتما في هذه الدنيا متفقين فلتكونا كذلك في الآخرة .

(يتبارزان ويخر تيبالت صريعاً)

فوليو : عجّل من هنا ولا تبطىء يا روميو ، فإن الناس لن يلبثوا أن يجتمعوا علينا . وإن الحاكم سيصدر عليك حكم الإعدام لا محالة إذا أنت لم تهرب فلا تنتظر هنا يا روميو لحظة واحدة فيقبض عليك .

روميو : يا ويحي . . . ما أشقاني .

فوليو : لماذا تبقى هنا ؟ .

(يخرج روميو)

(يدخل جماعة من الأهالي)

أحد الأهالي : أي طريق سلك ذلك الذي قتل ماركو ؟ إلى أين فر ذلك القاتل تيبالت ؟ .

فوليو : إن تيبالت ملقى هناك .

أحد الأهالي : انهض يا سيدي ، وتعال معي فإني ألقي القبض عليك باسم الأمير ، هيا ، أجب!

(يدخل الأمير وحاشيته ومونتاغو وكابوليتو وزوجتيهما وآخرون)

الأمير : أين المجرمون الذين بدؤوا في هذا الحادث ؟

فوليو : أصلح الله الأمير . إني كنت من مشاهدي الحادث من بدايته إلى نهايته فشهدته رأي

العين ، فها هوذا الرجل الذي قتله روميو لأنه قتل قريبكم ماركو الشجاع الباسل الكريم .

زوجة كابوليتو : وتيبالت ابن عمي ! أواه يا بـن أخي ! أواه يا زوجي ! لقد هدر دم أهلك . أيها الأمير اثأر لدمنا من القتلة آل مونتاغو ، إنك العادل الكريم . . وا ابن عماه . . وا ابن عماه !

الأمير : قص علينا يا فوليو تفاصيل هذه المبارزة الدموية .

فوليو : إن تيبالت الذي قتل بيد روميو خاطب قاتله بحدة ، وهاجمه بعنف . على حين كان روميو يكلمه برفق ويطلب إليه أن يتمهل في الأمر ويتبصر في عاقبة هذا الشجار الطائش ويذكره بإنذار الأمير وغضبه . وكان في ذلك كله هادئاً رابط الجأش ، متوسلاً ، بينما كان تيبالت ثائراً لا يستمع إلى رجاء روميو وتوسله . وشهر حسامه في وجه ماركو وكان هذا قد غضب واحتد فتلقاه هو كذلك بسيفه . فما كان من روميو إلا أن صرخ بهما منادياً إياهما بأن يتوقفا عن المبارزة . وتوسط بينهما ليعودا إلى رشدهما . ولكن تيبالت غافله

وطعن ماركو من تحت ذراع روميو طعنة قاتلة وأطلق ساقيه للريح ولكنه ما لبث أن عاد إلى روميو وكان هذا قد فكّر منذ لحظة في الانتقام منه فلم يكد يراه حتى أقبل عليه يبارزه وما لبث ان قتله وفر هارباً . . هذه هي يا سيدي الأمير قصة الحادث ، فإن كنت كاذباً فمر بقتلي .

زوجة كابوليتو : إنني أطلب العدالة أيها الأمير . . . لقد قتل روميو تيبالت والقاتل يُقتل لا محالة .

الأمير : لقد قُتل تيبالت وهذا قَتَل ماركو ، فمن يدفع ثمن دمه الغالي الآن ؟ .

مونتاغو : إن كان لا بد من قصاص فإن روميو غير جدير به أيها الأمير ، فقد كان لماركو صديقاً وكل خطئه أنه قد نفذ بيده ما كان على القانون أن يحكم به .

الأمير : ولهذا نأمر بإبعاده في الحال عن المدينة . . . لقد جر حقدكم علي مصاباً في قتيل مضرج بدمه أمامكم ، ولكني قد أخذت الآن بالرحمة في أمركم فاكتفيت بهذا الحكم الذي أصدرته . ولكني بعد اليوم سأصم أذنيّ عن رجائكم ولن أسمع إلى أعذاركم .

(يخرجون)

المشهد الثاني

عين المكان . حديقة كابوليتو

(تدخل جولييت)

جولييت : (لنفسها) أيها الليل المؤجج للحب، مأمن العاشقين ومعين المحبين، هيا أسدل أستارك الكثيفة، حتى لا ترى الأعين الحانقة، والأبصار المحدقة شبح روميو وهو يشب إلى أحضاني سراً ، فإن العشاق يلتمسون طريقهم في الظلام الدامس إلى مالكات قلوبهم ، مستهدين ببهاء جمالهن وضياء حسنهن الباهر . . أيها الليل الصديق أقبل ، هلم يا ليل المحبين ، في ردائك الأسود الغامر ، لتعلمني كيف أنزع خجلي وحيائي وانزوائي في أول لقاء بين عاشقين بريئين جمعهما عقد الزواج في شركة واحدة .

(تدخل المربية)

ها هي المربية آتية تحمل أخباراً ، وكل لسان يتحدث باسم روميو يبلغ من السماء آياته وفصاحته (إلى المربية) ما وراءك

من الأخبار يا مرضعتي وما هذا الذي في يدك ، أحبالاً أرى ؟ أهذه هي الحبال التي أمرك روميو بإحضارها ؟ .

المربية : أي نعم .. أي نعم ..

(تطرح الحبال أرضاً)

جولييت : يا ويلتا .. ! ما بك ؟ ولماذا تقلبين كفيك هكذا ؟ .

المربية : أواه .. ! أواه .. يا له من يوم مشؤوم .. لقد مات ! لقد مات ! وقد خاب أملنا ! لقد خاب أملنا ! . واأسفاه ! . لقد ذهب ! . لقد قتل ! . لقد مات ! .

جولييت : أواه .. ! هل وصلت القسوة بالسماء إلى هذا الحد فحسدتنا على سعادتنا ، ونقمت على هنائنا ؟ .

المربية : لم تكن السماء هي القاسية ، ولكن روميو هو الذي قسا .. آه .. ! روميو .. من كان يظن ؟ .

جولييت : أي شيطان أنت حتى تعذبيني على هذه الصورة الجهنمية .. ماذا تعنين ؟ هل نحر روميو نفسه ؟ .

المربية : لقد رأيت الجرح بعيني هاتين .. رباه ، هنا في صدره المنفتح ، وشهدت جثته

الملطخة بالدم الذكي . يا له من مشهد أليم ، لقد رأيته شاحباً غارقاً في بركة من دمائه فأغمي عليَّ من منظره .

جولييت : أيها القلب انفطر . . أيها القلب الكسير المسكين تحطم ولا تتردد ولا تتوان .

المربية : آه تبالت آه تيبالت . . يا أعز إنسان على النفس وأغلى بني البشر . تيبالت المؤدب اللطيف المعشر ، السيد الأروع العظيم المكانة ، ما كنت أريد أن يمتد بي زمني حتى أراك نزيل القبر .

جولييت : ما هذا الكلام المتناقض ! ؟ .
فهل قُتل روميو وهل مات تيبالت ابن عمي العزيز وحبيبي الغالي ! .

المربية : لم يمت غير تيبالت ، أما روميو فقد حكم عليه بالإبعاد لأنه هو الذي قتله .

جولييت : يا الله هل صرعت يد روميو تيبالت ؟ .

المربية : أجل . . واأسفاه ، أجل .

جولييت : رباه . . أيها القلب الذي يشبه الثعبان في وجه يشبه الزهرة الطرية ، هل يخطر بالوجدان أن يكمن ثعبان خبيث كهذا في شق جميل ، وكهف بديع يفتن العين ويسبي البصر ؟ روميو ! أيها الظالم

الوسيم . أيها الملك الحليم كالشيطان .
أيها العقاب في صورة الحمامة المطوقة ،
واليمامة الوادعة . أيها الحمل المفترس
كالذئب . أيها الحقير الزري المظهر
الرائع السماوي . يا لله من الزور كيف
يسكن في صرح ممرد وقصر تأخذ العين
روعته ؟ .

المربية : لا عجب يا بنتي فليس للرجال عهد ولا
وفاء ، كلهم خائن حانث بعهده ، وكلهم
مراء منافق يظهر غير ما يبطن ! رباه . .
أريد شربة ماء ، فإن هذه الأحزان قد
أحالتني عجوزاً . . العار عليك يا روميو
والخزي المبين ! .

جولييت : قطع الله لسانك على هذه الدعوة اللعينة .
فما خلق روميو لعار فإن العار والله
ليستحي ويخجل من أن يعلو جبينه .
رباه . . ما أظلمني حين لمته .

المربية : أو تطرين قاتل ابن عمك .

جولييت : وكيف أذكر بالسوء من كان لي زوجاً . أواه
لك يا زوجي المسكين ، أي لسان
سيذكرك إذا كنت أنا زوجك التي لم
يمض على زواجها بك غير ساعات ثلاث
قد لاكته وشوهته تشويهاً ؟ . ولكن أيها

التعيس لماذا قتلت ابن عمي . بل لقد
كان ابن عمي الشقي قاتلاً لزوجي لو
تمكن منه . أيتها الدموع الطائشة إرجعي
إلى نبعك الذي خرجت منه . ليت
الفاجعة فيه انتهت عند الموت . إن هذه
الكلمة وحدها لتحمل معنى يوحي إلى
النفس بأن كل عزيز قد مات . وكل أب
وأم وقريب ومحب قد ارتحل من
الأرض . بل ليس لهذه الكلمة في معنى
الويل من مقياس ولا مقدار ولا حد ، ولا
في اللغة ما بقي بالتعبير عن هذا المصاب
الأوحد ، ولكن أين أبي يا مربيتي وأين
أمي ؟ .

المربية : يبكيان تيبالت وينوحان عليه فهل تريدين
الذهاب إليهما . إني على استعداد
للذهاب بك إليهما .

جولييت : ليغسلا جراحه بدموعهما حتى تجف من
عينيهما الدموع ، وعند ذلك تبتدىء
دموعي حزناً على إبعاد روميو وألم على
فراقه . خذي هذه الحبال بعيداً ، فقد
خدعنا الدهر أنا وهي في مرادنا بإبعاد
روميو عنا . . واهاً لك أيتها الحبال
المحزنة الأليمة . لقد أراد أن يجعل منك

سبيلاً إلى فراشي ولكني اليوم أرملة تموت بعذريتها . كلا . . كلا . . أيتها الحبال . هلمي إلى فراش عرسي ومهاد زفافي لكي أُزف إلى الموت ما دام روميو عني منفياً .

المربية : هيا بنا يا جولييت إلى غرفتك وأنا ذاهبة لكي أُفتش عن روميو وآتي به لكي يواسيك وينسيك الهم فإني أعلم أين هو . . وثقي بأنه سيكون الليلة هنا . إنني ذاهبة الساعة إليه ، في مخبئه عند الكاهن لورانس .

جولييت : انطلقي إليه وأعطيه هذا الخاتم وأخبريه بأن يحضر للوداع الأخير قبل الفراق .

(تخرجان)

المشهد الثالث

عين المكان . صومعة . الكاهن لورانس

(يدخل الراهب لورانس)

الكاهن : تعال يا روميو ، تعال أيها المرعوب

(يدخل روميو)

روميو : ما وراءك من أخبار يا أبي ؟

الكاهن : حقاً يا بني لقد أَلِفْتَ الأحزان وألفتك وتحالفت الخطوب عليك . لقد أتيتك بخبر ما حكم به الأمير .

روميو : وأي قضاء له أقل من الحكم بالموت ؟ .

الكاهن : ارفق فلم يحكم بالموت ، ولكنه حكم بالإبعاد .

روميو : ها أتقول الإبعاد يا أبت . . . وأولى بك أن ترحمني فتقول الموت ، فهو والله أرحم من الإبعاد وأسهل.

الكاهن : لن يكون إبعادك إلا من فيرونا وحدها ! والدنيا يا بني واسعة وأرض فسيحة فاصبر . . . وتجلد فإن الله مع الصابرين .

روميو : فيرونا هي العالم عندي ، وليس وراء جدرانها عالم آخر ولا فضاء ، وإنما من ورائها جهنم وجحيم وألم وشقاء . وإذا أبعدت من فيرونا فقد نفيت من هذا العالم كله ، والنفي من العالم هو الموت والفناء ، فلا تقل يا أبتِ قد نفيت ، فإن هذا الخطأ في التعبير ، ووهم في الاصطلاح . إن تسميتك الموت بالنفي هو أشبه بقطع رأسي بفأس من الذهب ، وتلقيت الموت بغير ما ينادى به ويلقب .

الكاهن : يا لك من جاحد ناكر للجميل ! إن قوانين بلدنا تقضي عليك بالموت ولكن الأمير كان بك رؤوفاً ، وعليك حانياً ، فطرح القانون جانباً وأحال كلمة الموت نفياً . وهذه هي الرأفة المتناهية . . ولكنك قد عميت عن رؤيتها .

روميو : إن هذا تعذيب وليس رأفة . الجنة هنا وجولييت فيها ، وعداه جهنم لأنه لا يضمها . كل من يسكن فيرونا . من كلب أو قط أو فأر . وكل خسيس وصغير من أهاليها ، سوف يرون جولييت، إلا روميو هو وحده المحروم من رؤيتها ، ومن متعة قربتها . إن الذباب لأحق وأشرف وأطهر

وأنقى من روميو لأنه طليق يطن حولها
ولكن روميو ليس له حق ، لأنه مبعد لا
يستطيع قرباً ولا حق له في اقتراب .
فواأسفاه لروميو . ومع هذا كله لا تريد أن
تسمي الإبعاد موتاً ؟ أفليس عندك شراب
من سم قاتل أو خنجر حاد النصل
مرهف ، أو وسيلة من وسائل الموت
سريع التلف غير كلمة الإبعاد هذه التي
تصف لكي تريحني من هذه الحياة ؟ .

الكاهن : حسبك أيها العاشق المخبول ودعني أقل
لك كلمة واحدة .

روميو : أواه يا أبي . أتريد أن تتكلم عن الإبعاد
مرة أخرى ؟ .

الكاهن : سوف أعطيك درعاً تقيك من تلك
الكلمة . أريد أن أعمد إلى الفلسفة
وتأثيرها ، والحكمة وسحرها لتهدئتك
وتخفيف وقع الحكم بالإبعاد على خاطرك
بأنك مُبعد .

روميو : ومع هذا « مُبعد » فهل في وسع الفلسفة
أن تخلق لي جولييت أخرى فلا تكلمني
عن الفلسفة إنها أعجز من أن تفعل في
أمري شيئاً .

الكاهن : إن المجانين ليس لهم آذان يسمعون بها .

روميو : وكيف تكون لهم ما دام العقلاء بلا عيون يبصرون بها .

الكاهن : ولكن دعني أناقش معك حقيقة حالتك .

روميو : ولكن كيف يا أبتِ تتحدث عما تشعر أو تحس به فلو أنك كنت فتي مثلي ، وكانت لك عروساً مثل جولييت ولم يمض على زواجك بها غير ساعة من الزمن ، وقتلت تيبالت بيدك ، وحكم عليك بالإبعاد عندها جاز لك أن تتكلم .

(دق من الداخل)

الكاهن : انهض يا بني من مكانك فإن قادماً بالباب ، اذهب واختبيء في داخل الصومعة .

روميو : ولماذا يا أبتِ الاختباء . . . ما أنا والله ببارح الأرض حتى تلفني سحائب أنيني وتحجبني أنات شهيقي وزفيري من أعين المحدقين ونظر الناظرين .

(يستمر الدق)

الكاهن : ألا تسمع دقات الباب ، انهض يا بني كي لا يقبضوا عليك . تمهل لحظة أيها الطارق . (إلى روميو) ادخل صومعتي

ولتكن مشيئة الله . .

(يتعالى الدق)

من هذا الطارق الشديد ؟ من يطرق بهذه القوة ؟ ومن أين جئت وماذا تريد ؟ .

المربية : (من وراء الباب) دعني أدخل ، وستعلم ما أريد إني آتية من قبل السيدة جولييت برسالة .

الكاهن : مرحباً بك إذن .

(تدخل المربية)

المربية : أخبرني يا سيدي الراهب الكريم أين قرين سيدتي فإني أفتش عنه .

الكاهن : هناك ترينه مضطجعاً يلوك دموعه .

روميو : أأتيت أيتها المربية .

المربية : أواه يا سيدي ، الموت هو قدر الجميع .

روميو : أتتحدثين عن جولييت ؟ كيف تلقت أخبار المصيبة؟ وكيف تفكر به؟وما منزله من نفسها . أتراني قاتلاً لطخت سعادتنا الوليدة بدم أهلها ؟ أو ما هو من دمها وعشيرتها الأقربين . أخبريني أين هي الآن ، وماذا تصنع الساعة وما قولها في حبنا الذي قضي عليه وهو في المهد ؟ .

المربية : أواه ! إنها لا تكف عن النحيب والبكاء ،

ترتمي على فراشها ثم تنهض منادية
تيبالت ، ثم تعود فتدعو باسم روميو وهي
تتهالك على الفراش تنتحب وتذرف
الدموع السخية .

روميو : كأن ذلك الاسم قد انطلق من فوهة مدفع
فأرداها كما أن يد صاحبه قضت على حياة
ابن عمها ألا أخبرني أيها الراهب في أي
مكان من الجسد يكمن هذا الاسم لكي
أطعنه . . وأقضي عليه . .

(يسحب سيفه من غمده)

الكاهن : أنزل يدك أيها البائس الغبي . . ألست
رجلاً ؟ لك هيئة الرجال ولكن لك عبرات
النساء . عيب عليك يا رجل . إنك لا
تدرك حق جسدك وفضل حبك ، وكرامة
عقلك الذي ينتفع كالمرابي بكل شيء
فيك ، ويستخدم كل مواهبك . ألا انتبه يا
رجل واعلم ان جولييت التي أحببتها لا
تزال على قيد الحياة ، وكنت في سبيل
الفوز بها تكاد تموت أسى ، وتقضي حزناً
وغماً . ألا تحمد الله على صنيعه . . .
لقد مكنك من تيبالت وكان بإمكانه ان
يقتلك . ان رحمة الله ترعاك وبركات
السماء لا تتخلى عنك . . ولكنك كالمرأة

الشريرة المشاكسة الفاسدة الخلق . لا
تأبه لذلك كله . وتروح تلوم الحياة .
وتنقم على القـدر . وتلعن الحب
والحياة . فتمهل يا هذا ولا تكن غبياً .
واعلم أن الموت الذي تطلب لنفسك ، لا
يجدر الرضا عنه لرجل مثلك فهيا انهض
واشدد من نفسك المتهالكة وعزيمتك
المترددة الواهية واذهب إلى لقاء حبيبتك
كما واعدناها في غرفة نومها . هيا اذهب
لتواسيها وأبعد الحزن عن نفسها . ولكن
تنبه إلى الوقت . على أن تخرج من
المدينة إلى بلدة « مانتوا » قبل أول خيوط
الشروق كي لا ينكشف أمرك . وفي
« مانتوا » فلتقم حتى يهبني الله الفرصة
لأعلن زواجك السري واسترضاء خصومك
والتماس العفو من الأمير عنك لنعيدك من
منفاك حيث ترجع يومها إلى فيرونا فرحاً
مبتهجاً قرير العين ، وإن خرجت اليوم
منها حزيناً . مكتئباً متفجعاً .
وأنت أيتها المربية اذهبي قبله وبلغي
سيدتك السلام واعملي أنت وهي على أن
يبادر القوم في الدار إلى مضاجعهم . فإن
الحزن بلا شك يحملهم على التماسه
وها هو روميو سيتبعك .

المربية : يا لله ! كم أود أن أمكث الليل كله بجانبك أيها الراهب الحكيم العالم لكي استمع إلى عظاتك ، وأصغي إلى حكمك ومشورتك . فما أروع العلم ، وما أبلغ الحكمةوالبلاغة .

(إلى روميو) وأنت يا سيدي فلتطمئن فإني سأخبر مولاتي بقدومك .

روميو : بل أخبريها أني أستعد لملاقاتها . فلتستعد بكل ما في نفسها من عتب وتأنيب ولوم .

المربية : يا سيدي هذا خاتم أمرتني مولاتي بأن أعطيه لك . فهيا يا سيدي ولا تتأخر فإن الليل يوشك أن يتلاشى .

(تخرج المربية)

روميو : ما أشد سروري الآن بهذا الخاتم الذي أهدته لي جولييت .

الكاهن : أسرع الآن للاجتماع بها وليهنأ لك ليلك واعمل على الخروج من المدينة قبل ان ينتبه الحراس إليك ، أما إذا طلع النهار عليك فاخرج إلى مانتوا متنكراً . وسوف أجد خادمك الأمين فأنفذه إليك بين فينة وأخرى ليحمل إليك أخبار الحوادث ما

يسر منها وما يفرح فهات يدك وتهيأ
للذهاب . فإن الليل مدركك .
إلى اللقاء يا بني وطاب ليلك .

روميو : وحق الله لو أن أي شيء غير دعوة جولييت
دعاني لملاقاته ، لما كان من السهل
مفارقتك أيها الأب الحليم . . . وداعاً .
وليكن أمر الله . . .

(يخرج روميو والمربية)

المشهد الرابع

عين المكان . حجرة في دار كابوليتو

(يدخل كابوليتو وزوجته ، والكونت دي بارس)

كابوليتو : لقد تتابعت الحوادث السيئة يا عزيزي الكونت بسرعة مفاجئة لم نفكر معها أن ننقل ابنتنا جولييت من القصر حتى لا يفجعها نبأ مصرع ابن عمها العزيز تيبالت وكانت تعزه كثيراً وكان على نفسها كريماً غالياً وأحسبها الساعة لا يمكنها النزول إلينا ، لشدة حزنها وغمها ، وقد تأخر الوقت الآن ، ولولا زيارتك يا سيدي لكنت منذ ساعة في فراشي نائماً .

الكونت : حقاً إن ساعات الألم لا تناسب حديث الفرح . فأستودعك الله يا سيدي . وطابت ليلتك يا سيدتي . . . وأرجو أن تبلغ سلامي إلى ابنتك العزيزة .

زوجة كابوليتو : سأفعل يا سيدي وغداً أعرف رأيها في هذا الأمر وأحاول معرفته .

كابوليتو : أؤكد لك يا عزيزي الكونت دي بارس أن

ابنتي تحبك ، فأنا ولي أمرها . وطاعتها لي في كل أمر واجبة . ولا أشك في حبها لك . فثق بذلك واطمئن إليه . وأنتِ يا زوجتي اذهبي إليها قبل أن تأوي إلى فراشك فأخبريها بأن الكونت يحبها ، ومريها بأن تتأهب ليوم الأربعاء القادم . . . ولكن انتظري . . الآن نحن في أي يوم ؟ .

الكونت : يوم الاثنين يا سيدي .

كابوليتو : الاثنين . . لا يصلح الأربعاء إذن لأنه قريب والفسحة ضيقة . . فليكن إذن الخميس . أخبريها إذن أن زواجها سيكون في يوم الخميس القادم بإذن الله ، أيعجبك هذا الموعد يا ولدي العزيز . . وسوف لا نقيم احتفالاً كبيراً . . بل سنكتفي أن ندعو بعض الأهل والأصدقاء . . فإن ذلك يكفي بسبب الحداد على تيبالت حتى لا يقول الناس إننا لم نراع وفاته وألهانا الفرح عن الحزن والألم عليه . حسبنا بضعة أصدقاء ندعوهم إلى حضور القران فينتهي الأمر على أحسن حال ، فما رأيك يا عزيزي في يوم الخميس القادم ؟ .

الكونت : وددت ، يا سيدي ، لو أن الخميس كان غداً .

كابوليتو : (إلى زوجته)هيا انطلقي أنت إلى ابنتك . اذهبي إلى جولييت قبل أن تأوي إلى فراشك . وجهزيها ليوم العرس . الوداع يا سيدي الكونت . أضيئوا غرفتي . . ! طابت ليلتك .

(يخرجان)

المشهد الخامس

عين المكان . غرفة جولييت

(يدخل روميو وجولييت)

جولييت : رباه . . هل نويت الرحيل ؟ والنهار منا ليس بقريب . ان هذا الصوت الذي سمعناه اللحظة هو صوت البلبل ، وما هو بصوت القبرة ، وقد اعتاد البلبل أن يشدو على شجرة الرمان هذه التي تلوح منا قريبة دانية ، إذا ما أشتد الظلام فلا تخاف شيئاً أيها العزيز فكذلك هو البلبل مع الليل شدواً وتغريداً ، أما القبرة ، فتشدو مع الصباح .

روميو : كلا يا جولييت . إنه صوت القبّرة إيذان بأن النهار قد لاح ولم يكن صوت العندليب الذي نطمئن إليه . وها هوذا النهار الوليد . حان الرحيل . ومع الرحيل الحياة . أو حان البقاء وفي البقاء الموت .

جولييت : ما هذا الضياء ، إنه كوكب سيار أرسلته

لك الشمس حامل مشعلاً في الظلام
وهاجاً في عتمة الليل ليضيء لك الطريق
إلى مانتوا . فهلا بقيت . هلا مكثت .
فإني اخشى اقتراب الرحيل .

روميو : مرحباً إذن بالموت فإنني راض به ، وبمقدمه فرح ما دمت تشاءين . إني والله على البقاء ألهف مني على الرحيل والخروج . فهلم أيها الموت ومرحباً بك . فإن جولييت شاءته وبذلك أمرت . هيا إذن يا روحي الغالية نتحدث فإن النهار منا بعيد كما تقولين .

جولييت : بل هو النهار وتلك بوادره . فاذهب يا حبيبي وأسرع . صح إنها القبرة غنتْ باكية . وشدت حزينة لنا آسية . وأنذرت بفراق أليم . الآن يا حبيبي اذهب ، فإن الضياء يتفتق ونور الصباح يهل .

(تدخل المربية)

المربية : سيدتي .

جولييت : ما بالك يا مربيتي ؟ .

المربية : إن السيدة والدتك آتية إليك الساعة . وقد قارب الصبح أن ينبلج فانتبهي . . . .

جولييت : إذن أيتها الشرفة دعي الصبح يدخل .

ودعي الحياة تخرج هاربة .

روميو : وداعاً إذن يا فرح الدنيا وداعاً . قبلة أخرى ثم أهبط .

(يهبط)

جولييت : ذهبت يا حبيبي . أهكذا مضيت عني يا زوجاه ؟ آه . لا تنس أن ترسل أخبارك كل يوم ، فإن الدقيقة منذ الآن ستصبح أياماً طوالاً . والساعة حقبة من الدهر متماهلة .

روميو : وداعاً . . . وثقي إنني لن أدع فرصة إلا انتهزتها لأرسل إليك حبي وهيامي أيتها الحبيبة العزيزة .

جولييت : أواه . . أستتلاقى مرة أخرى ؟ .

روميو : لا شك أننا متلاقيان وأن الله سيجمعنا يوماً ونتذاكر أيام أحزاننا هذه وهمومنا فتزيدنا على الحب حباً وعلى نعمة البقاء سعادة وأمناً .

جولييت : رباه . . اخشى أن تكون مشاعري غير مشاعرك وحديث نفسي منذراً لا مبشراً ، إذ أشعر الآن وأنت تحت الشرفة كأنك ميت في داخل قبر دفين . وأشعر بأن وجهك الليلة باهت ، ومحياك أصفر

اللون ، أم عيناي من الحزن لا تميزان ؟ ! .

روميو : وفي عينيّ أنت تظهرين شاحبة . ان الألم المكبوت يمتص الدم ، والحزن المختنق في الصدر يلتهم حمرة الأرجوان . الوداع . الوداع .

(يخرج روميو)

زوجة كابوليتو : (من الداخل) : جولييت ! هل أنت مستيقظة ؟ هل أنت صاحية ؟ .

جولييت : من ذا يناديني ؟ أهو صوت والدتي ؟ أذاهبة إلى الفراش متأخرة أم مستيقظة باكراً ؟ رباه ما الذي حملها على القدوم في هذا الوقت ؟ .

(تدخل السيدة كابوليتو)

زوجة كابوليتو : ما بالك يا جولييت وأراك قد استيقظت باكراً ؟ .

جولييت : إني مريضة يا أماه .

زوجة كابوليتو : أمن كثرة البكاء على ابن عمك ؟ عجباً لك يا ابنتي . اتحسبين بالدمع تعيديه من قبره ؟ .

جولييت : دعيني أبكي على هذه الخسارة .

زوجة كابوليتو : نعم ولكنك لن تعيديه بطول البكاء عليه .

جولييت : وهذا ما يزيدني أسفاً .

زوجة كابوليتو : إنك إنما تكثرين من الحزن عليه لأن قاتله الحقير لا يزال حياً .

جولييت : أي حقير يا أماه ؟ .

زوجة كابوليتو : ذلك الحقير أعني به روميو .

جولييت : سامحك الله . فإني قد غفرت له من كل قلبي . وإن كنت منه في حزن وأسى وإن كان لا بد من الانتقام . فأنا بيدي هاتين أثأر منه . . .

زوجة كابوليتو : تأكدي يا بنية فإنا سنثأر منه . وسوف أرسل له إلى مانتوا حيث يقيم من يسقيه سماً قاتلاً يقضي عليه ويلحقه بالموتى الذين سبقوه وهلكوا . وأظنك يومئذٍ ستشفين غليلك منه وتفرحين .

جولييت : ما يفرحني في هذا العالم شيء أكثر من أن أراه بنفسي وما أسر من شيء قدر سروري بأن أكون أنا ساقيته السم ومجرعته فأرسليني إليه يا أماه . أواه . إن قلبي ليتألم ويضطرب كلما سمعت اسمه يردد على الشفاه وأنا لا أستطيع سبيلاً إليه .

زوجة كابوليتو : جدي أنت يا ابنتي الوسيلة وأنا أوجد المنفذ لها . ولكن اتركينا من ذلك الآن فإني قد جئت بأخبار سارة وأنباء عظيمة .

جولييت : ما أحوجنا اليوم في الواقع إلى ما يفرح ويبعدالهمعن نفوسنا، فما هي يا أماه ؟

زوجة كابوليتو : إن والدك الذي يرعاك ويسعى لخيرك يا بنية قد فكر في ابعاد الألم عن فؤادك وإسعادك وهيأ لك حدثاً مبهجاً ما كان ليخطر ببالك ولا كان يدور بخلدك .

جولييت : وما هو ذاك يا أماه ؟ .

زوجة كابوليتو : هو يوم الخميس القادم يا ابنتي ، فإن الكونت دي بارس الشاب النبيل والسيد الكريم العريق ذي الحسب والنسب سوف يمشي بك إلى الكنيسة في ذلك اليوم ليتخذ منك عروساً له وليغمرها بالحب والهناء .

جولييت : لن يكون ذلك يا أماه . . وإني لاستغرب هذه السرعة في تزويجي برجل قبل أن أختبر عاطفته وأفهم مسلكه ، وأسمع من شفتيه كلمة حب ، فهلا قلت يا أماه لوالدي إنني لا أريد الزواج الآن . . لم يحن الأوان بعد . ويوم اريد أن أتزوج فلا والله ما أنا بمتزوجة غير روميو الذي لا أجهل مبلغ كراهيتكم له وحقدكم عليه . فإنه أهون والله من بارس وآثر عندي

عليه . أفهذه الأخبار المفرحة التي
تحملينها ؟ .

زوجة كابوليتو : هذا أبوك قادم إليك فأخبريه أنت بنفسك
لنرى كيف سيتلقاه منك .

(يدخل كابوليتو)

كابوليتو حين تغرب الشمس يسقط الندى فما لي
أرى على غياب شمس تيبالت المطر
ينهمر دائماً . يا عجباً لك يا بنية ألا
تعرفين الصبر ؟ زوجاه . هل أعلمتيها
برغبتنا ؟ .

زوجة كابوليتو : أجل يا سيدي ولكنها لا تريد أحداً وتشكر
لك ما عرضت ولكنها لا تقبله ابداً .

كابوليتو : ماذا أسمع يا زوجة . أتقولين انها لا
ترغب بالزواج من أحد ؟ .

جولييت : أنا شاكرة لك هذه العناية بأمري ولا أنكر
حبك وحنانك عليّ . ولكني لست فخورة
بذلك الرجل .

كابوليتو : ما هذا المنطق الرخيص الوضيع الذي
اسمع ؟ ما هذا الهذيان كله وما
سببه ؟ . . . لا أنتظر منك فخراً ولا شكراً
ولكني آمرك ان تتحضري ليوم الخميس
القادم كي تذهبي مع الكونت دي بارس

إلى الكنيسة وإلا سحبتك على وجهك
إليها أيتها الفتاة الهزيلة الصفراء .

زوجة كابوليتو : يا له من عيب يا بنيتي ، هل تراك فقدت عقلك ؟ .

جولييت : أرجوك يا أبت وأنا راكعة عند قدميك أن تنتظر حتى أقول كلمة .

كابوليتو : ابعدي عني أيتها الغر الغبية العاصية الجاحدة ليس عندي إلا شيء واحد وهو أن تذهبي إلى الكنيسة يوم الخميس. وإلا فلا تريني وجهك بعد الآن وهذا فراق بيني وبينك. فلا تتكلمي ولا تردي عليَّ ولا تجيبي فإني أهم بضربك وتأديبك .

المربية : بارك الله فيها يا سيدي ليس عليها ذنب ولا هي ملومة وإنما أنت يا مولاي الملوم على هذه الشدة في معاملتها والقسوة في إرشادها .

كابوليتو : من الذي علمك الحكمة يا هذه والبلاغة الكلامية . اقفلي فاكِ أيتها المرأة المجنونة . واذهبي شاركي في أحاديث العجائز من أشباهك وأمثالك ، ما لك ولهذا تتطفلين فيه .

المربية : والله ما تفوهت إلا الحق وما نطقت إلا الصدق فهل في قولي عيب أو عدم احتشام ؟ .

كابوليتو : اسكتي يا طويلة اللسان .

المربية : الا يقدر أحد ان يفتح فمه .

كابوليتو : سكوتاً أيتها المخرفة فلسنا بحاجة إلى كلامك .
أولى بك أن تكوني في حلقة من النسوة النمامات المستغيبات غيرهن .

زوجة كابوليتو : ما بالك ثائراً إلى هذه الدرجة غاضباً ؟ .

كابوليتو : يا للغرابة كل الغرابة .. غرابة تميت القلب . أكنت أظن أن تكون هذه العاقة الناكرة الجميل ؟ لقد كنت ليل نهار وصباح مساء لا أفكر إلا في إسعادها واختيار الزوج الجدير بها هذا ما كان يشغلني واليوم وقد كفلت لها زوجاً سيداً كريماً نبيلاً ، جميلاً في ريعان الصبا ، على خلق عظيم ، وذا مزايا وفضائل ومكارم ، جامعاً لكل ما يفخر به الرجال ، إذ بي أجد حيالي فتاة غراً حمقاء تقول لي لا أريد زوجاً ولا أبغي قراناً بهذا الخطيب لأنني لا أميل إليه قسماً لو رفضت يا هذه زواجاً فإنني تاركك ترعين مع البهائم،

طاردك من منزلي لا تقربيني فيه ولا يضمك بعد الآن .

(يخرج كابوليتو)

جولييت : رباه ، أليس في السموات رأفة تطل من عليائها لتـرى ما في أعماق نفسي من ألم وما في داخلها من ألم وعذاب وهم ؟ وأنت يا أماه الحنون الشفوق لا تتركيني ولا تنبذيني . أماه ! ألا يوجد طريقة لتأجيل هذا الزواج شهراً ، بل أسبوعاً آخر ؟ وإذا اصررتم عليه ففراش عرسي بجانب جثمان تيبالت ، فإن الموت والله منه أرحم .

زوجة كابوليتو : أفلت الأمر من يدي فلا تكلميني فيه . وافعلي ما بدا لك فإننا حكمنا فيه حكمنا ولن ننقضه .

(تخرج زوجة كابوليتو)

جولييت : يا إلهي ؟ . . يا مربيتي . . . كيف السبيل إلى إبعاد هذه البلية وتجنب هذه المصيبة الداهمة فإن زوجي في الأرض وإيماني في السماء فكيف يرجع هذا الايمان مرة أخرى إلى الأرض وزوجي يفارقها؟ . أيتها المربية المخلصة الناصحة . ألا من مواساة . ألا من نصيحة تسدينها ؟ .

المربية : إذا كان لا بد من نصيحة فاسمعي يا بنية .
إن روميو اليوم في المنفى ولا أظنه سيعود يوماً إلى المدينة ليواجه العالم من أجلك ويعيدك إليه ، وإذا هو احتال لذلك فما أعلم من سبيل أمامه غير التنكر والخلسة وليس في ذلك من أمل ولا جدوى . وما دام الأمر كذلك فرأيي ان تقبلي الزواج بالكونت فإنه وحق الله شاب وسيم جميل وسيد نبيل حسيب ، وإن روميو بالنسبة إليه لا شيء يذكر . حتى إنه لا يماثل ظفره .

جولييت : أهذا الذي تقولينه من قلبك حقاً ؟ .

المربية : بل من روحي والله وأعماق نفسي وإلا فلعنة عليها إن كنت أقول غير الصدق .

جولييت : آمين .

المربية : يا للعجب ؟ ! .

جولييت : إنها نصيحة جيدة ، ورأي صائب ، فاذهبي إلى والدتي فأخبريها بأنني قد ندمت على اغضاب والدي والخروج عن أمره وأنا ذاهبة حالاً إلى صومعة الكاهن لورانس لاعترف له وأسأل المغفرة عما بدر مني في حق أبي وطاعته .

المربية : أحسنت يا مولاتي ، فهذه هي الحكمة بعينها . وها أنا ذاهبة لأنقل الخبر إلى سيدتي .

(تخرج المربية)

جولييت : عليك اللعنة أيتها المرأة الفاسدة الرأي ، الموحشة الوجدان . لست أعلم والله أي ذنب أكبر وأي خطيئة اعظم وأخطر من طلبها مني بأن اسلم نفسي هكذا لمن لا أرغب وأرضى بالقران بمن لا أحب ، أم ذمها في روميو بذلك اللسان نفسه الذي طالما أطرته فيه وجاءتني بكل خير عنه .

الفصل الرابع

المشهد الأول

صومعة الكاهن لورانس

(يدخل الكاهن لوراس والكونت دي بارس)

الكاهن : قلت يوم الخميس يا سيدي ؟ إن الموعد قريب ولم يتبق عليه إلا فترة وجيزة لا تسمح لما تريد مني أن أعالجه .

الكونت : هكذا أراد السيد كابوليتو . ولا أنكر عليك أنه ليس من مصلحتي أن أرده عن تعجله هذا أو أرده عن تسرعه .

الراهب : لقد عرفت من كلامك يا سيدي أنك لا تعرف شعور الفتاة منك ، فإذا صح هذا كانت الخطة التي اتبعتموها غير سليمة وأنا أعارضها ولا أوافق عليها .

الكونت : لقد رآها أهلها تكثر من البكاء والنحيب لموت تيبالت ، ورأيت أنا ذلك منها فلم أشأ أن أتحدث إليها أحاديث الحب أو العاطفة وأعتقد أنك الآن قد عرفت سر

هذه السرعة التي لم تعجبك .

الكاهن : (لنفسه) أتمنى لو أنني لا أعرف أسباب التأخير . . . انظر يا سيدي ، ها هي قادمة .

(تدخل جولييت)

الكونت : أهلاً بك يا مالكتي وزوجتي ! .

جولييت : لم أصبح كذلك بعد يا سيدي .

الكونت : ولكن سيكون قريباً ، وموعدنا الخميس القادم يا حبيبتي .

جولييت : سيكون ما كتب علينا .

الكاهن : هذا قولٌ سديد .

الكونت : هل جئت أبينا هذا لتعترفي له ؟ .

جولييت : لو أجبتك عن سؤالك هذا سيكون الاعتراف لك أنت لا له .

الكونت : لا تنكري عنه حبك لي .

جولييت : بل سأعترف لك بأنني أهواه..

الكونت : إنني متأكد انك ستعترفين له بأنك تحبينني .

جولييت : إن فعلت ذلك كان لاعترافي بالحب من ورائك غير الاعتراف به أمامك وفي وجهك .

الكونت : يا للحسرة إن وجهك قد جرحته الدموع .

جولييت : لقد انتصرت إذن الدموع لأنه كان بشعاً قبل انهمارها فزادته هي بشاعة فوق بشاعة .

الكونت : إنك لتظلمينه بهذا القول أكثر مما ظلمته العبرات .

جولييت : ليس في هذا تجني لأنه الصدق وقد قلته في وجهي فهو إذن مصارحة وما هو بغيبة ولا نميمة .

الكونت : ولكن وجهك هو ملكي وأنت إذن قد تجنيت عليه .

جولييت : (للكاهن) هل يسمح لك وقتك يا أبت الآن أم أرجع إليك بعد صلاة المساء .

الكاهن : بل هناك متسع من الوقت يا ابنتي الحزينة .

(إلى الكونت بارس) هل يسمح سيدي في تركنا لنقوم بهذا الواجب الديني ؟ .

الكونت : أعوذ بالله أن أحول بينك وبين واجب من واجبات العبادة والدين .

(إلى جولييت) سأوافيك باكراً في صباح الخميس القادم لإيقاظك من فراشك . أما الآن وإلى أن يأتي هذا الموعد الذي أدنو

إليه فأستودعك الله .

(يقبلها في جبينها)

والآن احفظي هذه القبلة مقدماً .

(يخرج)

جولييت : اقفل خلفه الباب وتعال ابك معي ودع الدمع ينهمر وأكثر . فقد ضاع الأمل ، وعز الدواء والشفاء تحول سراب وعز المعين وذهب الصديق .

الكاهن : لقد علمت يا جولييت كل شيء عن أحزانك وآلامك . وقد تجاوز علمي بها مدى رأيي ومحيط حكمتي ودائرة إحساسي وتفكيري . فقد علمت أنه قد أجبرت أن تقبلي الزواج بهذا الكونت وعقد قرانه عليك في يوم الخميس القادم وإنك لا تعلمين سبيلاً للتخلص من هذا الحكم المبرم المؤلم .

جولييت : لا تخبرني يا أبت على علمك بهذا ولكن قل هل فكرت في إنقاذي . . يا أبت الناسك الصديق الوفي . . أليس من طريقة . . ألا من حيلة . . وإذا أنت عجزت بحنكتك عن مساعدتي ويئست من إيجاد وسيلة لتخليصي ونجاتي . . فدعني إلى ما نويت ولا تقل إنها طائشة

ولا تَحكم بأنها بعيدة عن التعقّل والصواب . فإني بهذا الخنجر منفذتها في الحال .
لقد جمع الله قلبي بقلب روميو وربطت أنت يدي بيده . . ولكن قبل أن تمتد يدي هذه التي ربطت أنت بينها وبين يد روميو لتقترن بيد رجل سواه ، ويتجه قلبي الوفي إلى إنسان غيره ، منصرفاً عن الوفاء الذي أقسمت عليه مدى الحياة . ستقتل هذه اليد قلبي وقلب روميو معي ، وإلا فساعدني يا أبت بفضل خبرتك الطويلة ، وطول باعك وارشدني ، وابذل لي الرأي أخيراً ، وإلا فدع هذا الخنجر الحاد النصل يحكم بين شقائي وبيني ، ليقضي بما عجزت حكمتك وتجربتك وتدبيرك عن إيجاد الوسيلة الشريفة إليه . أنت العارف لا تبقَ ساكتاً ، ولا تلتزم صمتاً ، فإني لفي أشد الشوق إلى الموت إذا أنت لم تجد لي مهرباً .

الكاهن : اسمعيني يا ابنتي ، إني أرى خيطاً من أمل . ولكنه يقتضي يقظة في التنفيذ يعدل في خطره ورهبته ما نريد أن نمنعه، ولتجنب حدوثه وما دمت

تفضلين قتل نفسك ولديك من قوة الإرادة
ما يحملك على إنهاء حياتك على الزواج
بالكونت بارس . فهل تستطيعين يا بنية أن
تقومي بأمر هو أقرب إلى الموت . وهل
في وسعك تنفيذه لتتخلصي من هذا القرح
الذي أحاط بك ؟ . هو شيء يشبه
الموت والأسى قد دفعك لمواجهته ، فإن
كان في نفسك إرادة ، وفي قلبك
شجاعة ، فإن الدواء عندي لهذا الذي
اقترحته .

جولييت : أواه يا أبت ، مرني أن أقفز من هذا
الصرح العالي الذي تراه من مكاننا هذا .
أو ادفني حية في قبر جديد مع ميت في
الأكفان مدرج دفين . أو اختر لي ما
تقشعر له الأبدان لسماعه ، وترتعش
الأوصال لقصته . فإن هذا أهون من
الزواج ببارس ، وإني لأقبله دون تردد ولا
مخافة ولا خشية ، إذ يكفيني أن أظل
مخلصة لزوجي الذي أقسمت له على
الحب مدى الحياة .

الكاهن : إذن اصغي لما أنا قائله يا بنية . ارجعي
إلى بيتكم ، مخفية أحزانك متظاهرة
بالسرور، متراثية بالمرح والانشراح، واخبري

أبوك انك قد رضيت بارس لك زوجاً .
فإذا حل الغد وهو الأربعاء ، فالتمسي في المساء خلوة إلى نفسك ولا تدعي مربيتك تنام الليلة في مخدعك ، وخذي هذه القارورة الصغيرة فإذا ما احتواك سريرك فاشربي ما فيها من سائل مقطر ، فلا يكاد يسري في عروقك حتى تشعرين ببرودة أطرافك وتحسي رعشة سرت في جميع جسدك ، ثم لا تلبث حركة نبضك أن تتوقف وتنفسك أن ينقطع ، ويتحول لون الوجه إلى شحوب وامتقاع ، فتصفر شفتاك ويزول من خدودك هذا الأرجوان وتغمض منك العينان ، ويبدو شيء كالموت في جميع مظاهره وأعراضه ، فتبدين للقوم ميتة خامدة الأنفاس متخشبة البدن منطفئة الإحساس .
وسوف تبقين على هذه الحال المشابهة للموت اثنتين وأربعين ساعة ، وبعدها تستيقظين كأنك كنت في حلم عذب جميل. وعندما يأتي عريسك في صباح اليوم التالي لتذهبا إلى الكنيسة ، يجدك الناس على تلك الصوره الرهيبة ميتة ساكنة ، وجسداً متخشباً بلا حراك فيظنون أنك قد فارقت الحياة ،

ويبدؤون كعادتنا في بلادنا بلفك في أجمل
الثياب ، ويحملونك بأبهى الحلى
ويضعونك مسجية فوق نعش مكشوفة
الوجه . ثم يحملونك إلى مقبرة أجدادك
الأولين . وخلال هذا الوقت أوفد إلى
روميو رسولاً بكتابي أخبره حقيقة أمرك
فيأتي مسرعاً ليوافيني فنذهب معاً إلى
المقبرة ننتظر رجوعك وعودتك إلى
الحياة، فيحملك في نفس الليلة معه إلى
مانتوا . وبذلك تتخلصين من هذه
المشكلة الصعبة . فما عليك يا ابنتي إلا
أن تتمسكي بالشجاعة . وإذا لم
تستسلمي لخوف النساء ولم تستولي
عليك رهبة الفكرة بل أقدمت وأحسنت
التمثيل كان ما تريدين وعادت إليك
السعادة التي تأملين ، وفزت بزوجك
الشرعي الذي تحبين ، ونجوت من هذا
المأزق المشين .

جولييت : ناولني الزجاجة ولا تكلمني يا أبتِ عن
الخوف ولا تذكر الوجل فإني قوية مقدمة
على ما اقترحت .

الكاهن : خذيها يا ابنتي . وانطلقي إلى البيت الآن
وتظاهري بالفرح . واعتصمي بالشجاعة
والجلد . وادعو الله أن يفتح عليك

ويهديك إلى أفضل من هذا رشداً .
وأما أنا فسوف أوفد إلى مانتوا رسولاً
بكتاب مفصل إلى زوجك المحب .

جولييت : أيها الحب ألهمني القوة والشجاعة
وساعدني على هذا الأمر بقوتك
وسلطانك . .
والآن أستودعك الله يا أبتِ العزيز .
(تخرج)

المشهد الثاني

عين المكان . حجرة في دار كابوليتو

(يدخل كابوليتو وزوجته والمربية وبعض الأتباع)

كابوليتو : اذهب واستأجر لي عشرين رجلاً من أفضل الطباخين .

الخادم : حسن يا سيدي، وسوف يعجبك الطبخ الذي يعدونه .

كابوليتو : هيا اذهب إذن .

(يخرج الخادم)

(إلى المربية) هل ذهبت جولييت حقاً لزيارة الأب لورانس؟ .

المربية : نعم مولاي .

كابوليتو : لعله يثنيها عن رأيها الخبيث .

المربية : ها هي ذي آتية من الكنيسة فرحة راضية .

(تدخل جولييت)

كابوليتو : أين كنت أيتها العنيدة الحمقاء ؟ .

جولييت : كنت حيث تعلمت الندم والاستغفار عما أخطأت فيه من عدم إطاعتك ، والاعتراض على رغبتك وقد نصح لي

الكاهن التقي الكريم أن أركع عند قدميك
وأسأل العفو عما بدر مني وأرجو منك
الصفح ، وهأنذا قد جئت إليك ألتمسها ،
ولن أعصي لك يا أبت بعد اليوم أمراً
وستجدني دائماً مطيعة لك .

كابوليتو : سنرسل إلى الكونت فوراً لنبلغه ، فإني
أريد أن ينتهي هذا الأمر غداً .

جولييت : وقد لقيت الكونت الشاب عند الكاهن
لورانس فلم أعترض على تقبيله لي لتكون
تلك القبلة البريئة دليل حبي له وقبولي به
وإن لم أتجاوز في منحها له حدود
الاحتشام .

كابوليتو : لقد أحسنت يا بنية وإني سعيد بما سمعت
فاحضروا الكونت ولا تبطئوا . اذهبوا
وبلغوه في الحال ليحضر على عجل
إلينا . قسماً بالله إن هذا الكاهن المحترم
لطيب صادق وقد أصابت في حبه والنزوع
إليه ، لأنها مدينة له بفضل عظيم .

جولييت : هيا بنا يا مربيتي ندخل غرفة نومي لكي
تساعديني على انتقاء مجوهراتي وحلاي
وما ينبغي أن أتحلى به غداً .

زوجة كابوليتو : كلا . يا ابنتي اتركي هذا إلى يوم

الخميس فهناك متسع من الوقت .

كابوليتو : انطلقي معها فإنا غداً سنذهب إلى الكنيسة .

(تخرج جولييت والمربية)

زوجة كابوليتو : أرى ان الفترة قصيرة للغاية ، فنحن الآن ليلاً ولا متسع من الوقت للاستعداد للاحتفال .

كابوليتو : كلا .. كلا ، فإني سأبذل جهدي في تحضير كل شيء ، وسأنشط لتجهيز لوازم الحفلة . فاذهبي أنت إلى جولييت لتعينيها على زينتها ، أما أنا فلن أنام الليلة ، بل لأسهر الليل بطوله لتأمين مطالب العرس ولوازمه ... أيها الخدم : هلموا أوه .. ولكني قد أرسلتهم جميعاً لقضاء ما طلبته فسأذهب بنفسي إلى الكونت دي بارس لأبلغه أن يستعد للغد فإن في قلبي سرور غامر ومرح زائد ، بعد أن ندمت تلك الطفلة المتقلبة إلى الحكمة والرشاد .

(يخرجان)

المشهد الثالث

عين المكان ـ غرفة جولييت

(تدخل جولييت والمربية)

جولييت : أعتقد أن هذه الثياب أفضل من غيرها لحفلة الغد ، ولكني أرجو أيتها المربية الكريمة أن تتركيني الليلة في غرفتي وحدي ، فإني بحاجة إلى الصلاة طويلا والتضرع إلى الله أن يغفر لي ذنبي ويعفو عني ما عصيت .

(تدخل زوجة كابوليتو)

زوجة كابوليتو : عجباً ! ألا تزالين منشغلة في إعداد زينتك يا ابنتي هل أنت بحاجة لمساعدتي ؟ .

جولييت : لقد جهزت كل شيء للغد يا أماه ولسنا بحاجة إلى المساعدة . فأرجوكما أن تدعاني وحدي ، لتمكث المربية معك هذه الليلة ، لأني على يقين أنكما ستكونا منشغلتين .

زوجة كابوليتو : ليلة سعيدة إذن . . . آوي إلى فراشك وارتاحي لأنك بحاجة لها .

(تخرج زوجة كابوليتو والمربية)

جولييت : (لنفسها) الوداع ! الوداع ! فإن الله وحده يعلم متى يكون لنا لقاء من جديد أو ربما لا يكون لقاء واجتماع . إني أشعر الساعة برعشة خوف قوية تسري في أعماقي حتى لتبرد في بدني حرارة الحياة ، وأود لو أناديهما لتعودا وتواسياني ويخففا عني هذا الخوف الذي انتابني . . ولكن . . من يدري فقد يكون هذا الشراب سماً قاتلاً جهزه الكاهن بخبث ومكر لكي أقضي به مخافة أن يكتشف الناس جريمته ، فهو الذي زوجني بروميو قبل هذا الزواج الذي أنا مرغمة عليه . . . أخاف ذاك وأخشاه . ولكن الكاهن رجل نبيل يتقي الله ، وقد عرف الناس فيه الصلاح والتقى ، وفعل الخير فلا يقدم على جريمة نكراء كهذه وإثم عظيم . ولكن . . . كيف سيكون الوضع يا ترى عندما أنتهي من الغيبوبة بعد ذهابهم بي إلى المقبرة وقبل قدوم روميو ليصطحبني ؟ ألا أختنق في ذاك القبر المرعب الذي لا يُدخله الهواء ولا تهب عليه من الفضاء ريح طاهرة تبعث الحياة ، وتبقي على البدن ؟ ألا أقضي اختناقاً قبل أن يسرع روميو لإنقاذي ؟ وإذا لم أختنق وظلت الحياة في بدني مترددة :

فكيف أطيق البقاء لحظة في هذا المكان الرهيب ، الذي يدفع إلى التفكير بالموت حقيقة . يا ويلي . . ماذا يكون ويا ويلي حالي؟رباه . هل أفقد صوابي حين أستيقظ على هذا المشهد المرعب؟ وفي وسط تلك المناظر التي تقشعر لها الأبدان؟.
وأنت يا روميو هأنذي آتية إليك ، ومن أجلك هأنذي أشرب . .

(تهوي على سريرها وقد أرخت السدول عليه)

المشهد الرابع

عين المكان . حجرة في دار كابوليتو

(تدخل زوجة كابوليتو والمربية)

زوجة كابوليتو : خذي هذه المفاتيح أيتها المربية ، واحضري المزيد من الحلويات .

(يدخل كابوليتو)

كابوليتو : هيا ، تحركوا . . . تحركوا !! . فقد سمعنا صياح الديكة للمرة الثانية ، وجرس الكنيسة قد قرع وقد قربت الساعة المرة الثالثة من الصباح . اذهبي يا انفليكا تفقدي المطبخ واللحوم حتى تنضج ولا تراعي التكلفة ولا تهمك المصاريف .

المربية : أخاف عليك يا مولاي طول السهر وشدة التعب ، فالأفضل لك أن تذهب إلى سريرك وإلا أصبحت منهكاً غداة غد من قلة النوم .

كابوليتو : كلا . . . فلقد سهرت قبل هذا الليالي طولها لسبب أقل شأناً فلم لا أسهر الليلة ونحن في أمر يوجب اليقظة والاهتمام .

زوجة كابوليتو : لقد كنت في صباك تطيل السهر جرياً وراء الحسناوات فلا غرابة أن تسهر الليلة وتأرق استعداداً للفرح والوليمة ولكني سأسهر معك ما دمت ساهراً ، ولن يمنعني شيء من مراقبتك ما دمت ترفض أن يغمض لك جفن .

(تخرج زوجة كابوليتو والمربية)

كابوليتو : آه من غيرة المرأة .. الغيرة ..

(يدخل ثلاثة أو أربعة خدم يحملون سفافيد وأخشاباً وأحطاباً وسلالاً تحوي أصنافاً مختلفة من الحضر والطعام) .

ما الأمر أيها الخادم ؟ وكيف يسير العمل ؟ .

الخادم : نحمل لوازم للمطبخ ولكني لا أدري شيئاً عن سير العمل .

كابوليتو : هيا عجّلوا .. عجّلوا ...

(يخرج الخادم الأول)

اجلب خشباً أفضل من هذا الذي تحمله وبطرس يرشدك إلى مكان وجوده .

الخادم الثاني : أستطيع يا مولاي أن أعرف الخشب الجيد فلا أحتاج إلى سؤال أحد فيه . ولن ازعج بطرس .

(يخرج الخادم الثاني)

كابوليتو : أحسنت يا هذا بقولك وإن كنت عنيداً
كالحمقى أو كأن رأسك من خشب . .
ها . . قد بدت تباشير الصباح ، وقرب
وقت الأفراح ، ولن يلبث الكونت أن يأتي
ومعه العازفون والموسيقيون كما وعد .
وإنه لمحافظ على وعده .
(يسمع صوت الموسيقى من الداخل)
ماذا اسمع ؟ ها هي أنغام الموسيقى
تصدح من مكان قريب . . . أيتها
المربية . . يا زوجة . . . يا وصيفات
تعالوا . . . هيا بسرعة . . .
(تعود المربية)
عجّلي إلى جولييت فأيقظيها من نومها
وألبسيها أجمل ما عندها وأسرفي في
زينتها وابدعي ما شاء لك الإبداع ريثما
أذهب لاستقبال بارس وأتحدث ملياً إليه .
هيا عجلوا جميعاً كاد يصل العريس .
(يخرجون)

المشهد الخامس

عين المكان . غرفة جولييت

(تدخل المربية)

المربية : سيدتي . . سيدتي جولييت ! لا زالت مستغرقة في النوم بلا شك . . يا نعجة . . يا سيدة . . يا حبيبتي . . ألا تسمعيني ؟ يا عروس ! يا للغرابة ! لا تتفوه حتى بكلمة واحدة ؟ ابعدي النوم من عينيك الآن . . نامي لمدة أسبوع . . حتى الليلة القادمة . . إني واثقة انك ترتاحين إلا قليلاً . . اللهم سامحني . . آمين . . إنها في نوم عميق . . يجب أن أيقظها بنفسي . . مولاتي ! مولاتي ! أتريدين أن ينقلك الكونت وأنت في سريرك ؟ أنا أكيدة بأنه سيوقظك . . أليس كذلك ؟ يا لهذه الملابس ! أجل ملابسك . . أتنامين في ثيابك ؟ يجب أن ايقظك . مولاتي ! مولاتي ! واحسرتاه ! واحسرتاه ! النجدة ! انجدوني ! ماتت مولاتي ! يا له من يوم شؤم ! ليتني لم أحيا

لأشاهد هذا اليوم ! مولاي ! مولاتي ! يا هو ! .

(تدخل زوجة كابوليتو)

زوجة كابوليتو : ماذا يجري ؟ .

المربية : يا له من يوم شؤم ؟ .

زوجة كابوليتو : يا لتعاستي .. يا ويلتا .. ابنتي .. وحيدة عمري .. أي طفلتي الغالية استيقظي وانظري إلى امك الثكلى وإلا مت معك وفارقت الحياة .. النجدة أيها الناس .. النجدة .

(يدخل كابوليتو)

كابوليتو : عيب عليكن أيها السيدات .. لماذا تأخرتن هكذا في إيقاظها وتزيينها .. وعريسها قد وصل .

المربية : تمهل يا مولاي . فقد ماتت .. ولفظت أنفاسها . يا له من يوم مشؤوم وسواد بدايته .

كابوليتو : ماذا . دعوني انظر إليها . يا ويلتا ! ان أطرافها مثلجة ، وتجمدت أوصالها ، وهدأ الدم في عروقها عن سريانه ، وقد فارقت شفتيها الحياة من فترة طويلة ، ووقع الموت عليها كما يقع الندى قبل

أوانه على أجمل زهرة في الحديقة .

المربية : يا له من يوم مشؤوم ؟ .

زوجة كابوليتو : يا له من يوم حزين ؟ .

كابوليتو : لقد سرقها الموت ليدفعني للانتحاب ، وقد عقد لساني ومنعني عن النطق .

(يدخل الكاهن لورانس والكونت بارس وموسيقيون)

الكاهن : هل العروس جاهزة للذهاب إلى الكنيسة ؟ .

كابوليتو : نعم استعدت للذهاب، ولكن دون رجعة . (إلى بارس)لقد أتى الموت يا بني وسبقك إليها قبل يوم زفافها. وها هي ذي كما ترى مسجاة كالزهرة كما تعرفها ، ولكن الموت أذبل اكمامها ، ومرّ عليها فاعتصر غصنها الطري . فكان هو صهري ووريثي ونسيبي . لقد بنى الموت بفتاتي . وتزوج بوحيدتي . فأنا اليوم أموت تاركاً له كل شيء . الحياة نفسها والعيش وما حوى . . كل شيء إلى الموت راجع .

الكونت بارس : رباه أفكنت أترقب هذا اليوم بلهفٍ وشوقٍ لكي يطالعني صباحه المشؤوم بهذا المنظر ؟

زوجة كابوليتو : يا له من يوم لعين محزن مشؤوم كريه . يا له من نهار أسوأ ما دار به الفلك وأقبح ما أتى به الدهر .
يا ويلي . . أتكون لنا ابنة وحيدة جميلة محبة هي سبب سعادتنا وعزائنا ، فيخطفها الموت منا على هذا الشكل القاسي ! .

المربية : أيها اليوم المفعم بالآلام . . أيها اليوم الحزين المشؤوم الكريه في الزمان . . أيها اليوم البغيض الذي لم تر مثله العينان . . أيها النهار الحالك ما في الحلكة أشد سواداً منك . يا ويلاه . . فقدت الصبر .

الكونت : مخدوع ، ومطلق ومذبوح على يديك أيها الموت الكريه بجبروتك أيها الموت الكاسر قهرتني . . أيها الحب ، أيتها الحياة ! الموت ليس فقدان الحياة بل فقدان الحب ! .

كابوليتو : أيها الزمن الغادر . . لقد هزأت منا ، وأنزلت قسوتك علينا وأوديت بسعادتنا وابنتاه . . لقد فارقتني . فبموت ابنتي ماتت كل أفراحي وذهبت كل سعادتي إلى ابد الدهر .

الكاهن : على رسلكم يا سادتي وكفكفوا الدمع ، وتجملوا بالصبر . فعزاء لكم . والله يتولاكم برحمته ، وليس لكم في هذه الجلبة من خير . . ولا في البكاء والمناحة من عزاء ولا سلوة شافية . لقد اختار الله لجواره ابنتكم الجميلة التي رزقكم بها وهو صاحب الأمر واسترد وديعته . وهو الخالق استرجع مخلوقه . وإنه للفتاة لنعم المسترد وأحسن الجوار . وليس في مقدوركم أن تستبقوا نصيبكم فيها من يد الموت ، ولكن السماء حفظت نصيبها فيها بالحياة الابدية . إن السعيدة ليست من تطول بها الحياة ، ولكنها من تموت عروساً في ريعان الصبا والعنفوان . ألا كفكفوا الدموع والزفرات . . . هلموا زينوها بأحسن ما عندكم من زينة مختلفة الألوان ، وكفنوها في أنضر الثياب ، وأجمل الملابس ، واحملوها إلى مرقدها الأخير في مهرجان . . فلئن كانت الطبيعة تحكم علينا بالآلام ، فإن سلوة دموعها في الصبر والحكمة والنسيان .

كابوليتو : هلموا حولوا كل ما جهزناه لزفافها ، لدفنها والمسير بها إلى قبرها مثواها الأخير

ولتعزف الموسيقى بأنغام الحداد عليها ،
وليكن احتفالنا بزفافها احتفالاً بتشييعها
ولتنقلب أغانينا وأناشيدنا ترتيلاً . ومزامير
على فراشها ، وورود عرسها تصلح نثير
ريحان على جدثها ، ولنستبدل كل
الأشياء اليوم بضدها . فذلك هي ارادة
القوة الإلهية .

الكاهن : هيا ادخل يا سيدي وأنتِ يا سيدتي
وامضِ يا كونت بارس لينطلق كل منكم
ويتحضر لإرسال هذا الجسد الغالي إلى
مرقده الأخير .

(يخرج كابوليتو وزوجته والكونت بارس والكاهن)

احد الموسيقيين : يجب أن نعلق أدواتنا وننصرف .

المربية : آه . . أيها السادة الكرام ! علقوا !
علقوا ! لأنكم كما تشاهدون فإن الأمر
كئيب .

(تخرج المربية)

أحد الموسيقيين : (لزملائه) أي نعم . . نستطيع استعمال
أدواتنا انسجاماً مع الحالة .

(يدخل أحد الخدم)

الخادم : أيها الموسيقيون ! يا موسيقيون ! أرجوكم

أن تعزفوا : « تعزية القلب » و « أنت ستحبيني » .

أحد الموسيقيين : ولكن لماذا « تعزية القلب » ؟ .

الخادم : أيها الموسيقيون ، لأن قلبي نفسه يعزف . قلبي اثقلته الأشجان هيا اعزفوا بعض الألحان للترفيه عن قلبي .

موسيقي آخر : ليس في وسعنا الآن . لم يحن الوقت بعد .

الخادم : سوف لا تعزفون إذن ؟ .

الموسيقيون : كلا .

الخادم : إذن سأعطيكم الهزء والسخرية بدل المال .

أحد الموسيقيين : هيا كفاك مزاحاً !

(يخرج الخادم)

أحد الموسيقيين : يا له من وغد لئيم.

موسيقي آخر : دعه وشأنه يا جاك ، هيا ننطلق جميعاً لنسير في مقدم الجنازة .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

مانتوا ـ شارع

(يدخل روميو)

روميو : ليت الرؤى تتحول حقيقة ، وكم أتمنى لو أشاهد ما رأيته في المنام حقيقة لقد رأيت بأن حبيبتي جولييت جاءت فرأتني ميتاً . . يا لها من رؤيا عجيبة ترد الميت مفكراً ، وتلهب الخيال أحلاماً . وإذ بها ترجعني إلى الحياة بقبلاتها وتنفخ في بدني الروح ثانية من شفتيها فإذا بي عدت حياً وصرت ملكاً عظيماً رب عرش وقدرة .

(يدخل خادمه)

الخادم لقد جاءتنا أخبار من فيرونا .

روميو : مرحباً بك بلتازار . ما الذي جاء بك إلينا وماذا تحمل لنا من أخبار . . أرسالة تحملها من الكاهن لورانس ، وكيف حال زوجتي ، ووالدي كيف هو ، بل كيف هي جولييت ، إني أسألك للمرة الثانية ،

إذ ما كانت بخير ، فالدنيا كلها بخير .

الخادم : أما وقد قلت ذلك فهي بخير ، لأن جسدها يرقد في التراب ، وروحها الطاهرة مع الملائكة ، فقد رأيتها تدفن في مقابر آبائها ، فما تأخرت في القدوم إليك مسرعاً لأحمل الخبر إليك بسرعة فسامحني واغفر لي ، إذا أنا أتيتك بهذا النبأ المفجع ، لأنك قد أوصيتني قبل رحيلك أن أخبرك بكل ما قد يحدث لها .

روميو : إنه مصاب فظيع وأمر عظيم ، أشاع الخبر ؟ أيتها السموات إنني لمتحديك أنت والقدر . فاذهب يا عزيزي جهز لي أحسن الجياد ، فإني هذه الليلة مسافر .

الخادم : صبراً يا سيدي ولا تجزع للخبر ، فإني أراك أصفر اللون متطير اللب ، وأخاف عليك أن يحدث لك ما لا تحمد معه عقباه .

روميو : إنك لمخدوع ، وما عليك إلا أن تنفذ ما آمرك به . ألم تحمل إلي رسالة من الكاهن ؟ .

الخادم : كلا يا مولاي .

روميو : لا بأس . . إذهب الآن فاستأجر الجواد

فلن ألبث أن ألحق بك لنسافر معاً .
(يخرج بلتازار)

روميو : (لنفسه) أي جوليت ، سيضمني مضجعي بجانبك الليلة في الدار الآخرة ولكن كيف السبيل . . أيها الشر ، ما أسرع سراك إلى إخلاد اليائسين . . فإني قد تذكرت للتو صيدلياً يقيم بمكان غير بعيد . ولاحظت منذ أيام إمارات المعوز بادية عليه ثوباً مهلهلاً ، وجبيناً مقطباً مكفهراً ، ونظراً شارداً مستطيراً ، وفاقة ظاهرة بدت آثارها في عروقه وعظامه ، وقد شاهدته في دكانه وقد علق سلاحف وجلوداً وتماسيح ، ولم تعد صيدليته تحوي غير قوارير فارغة ، وصناديق خاوية ، وأوعية من صلصال كالفخار ، ومنافح وأعشاب يابسة وبقايا زهور جافة ، فلا أعتقد أن فاقته هذه تمنعه من أن يبيع سماً لن يحتاج إليه ، وإن كان عقاب بيعه في القانون هو الإعدام ، فلأذهب الساعة إليه فإن منزله قريب منا .
(يمضي روميو نحو الصيدلي فيجد بابه مغلقاً)
أيها الصيدلي ! يا صيدلي !

(يطل الصيدلي)

الصيدلي : من يناديني ؟ .

روميو : اقترب مني أيها السيد فإني أريد محادثتك .

(يدخل الصيدلي)

الصيدلي : هأنذا يا سيدي فما الذي تريده ؟ .

روميو : إني أراك بحاجة للمال ، فخذ هذه الأربعين ديناراً وآتني بدرهم سم قاتل سريع المفعول يسري في المفاصل والأوردة بسرعة فيودي بالحياة في لحظة واحدة ويريح اليائس المعذب في هذا العالم البائس الأثيم ، في مثل سرعة الطلقة الخارجة من فوهة البندقية القاتلة .

الصيدلي : عندي من السموم ما يطابق طلبك ولكن القانون في مانتوا يحكم بعقوبة الإعدام على من يبيعه للناس .

روميو : يا عجباً . أوتكون على هذه الصورة من العوز والتجرد والبؤس وتخاف الموت ؟ أثر الفاقة في وجهك ، العوز والحرمان يطلان من عينيك ، والفاقة قصمت ظهرك ، فليس العالم لك بحليف ، ولا أحكامه لك بموالية ، ولن تكون في هذه الدنيا يوماً غنياً ولا صاحب مال . فخذ هذا المال ليغنيك ، ولو ضد القانون .

الصيدلي : حاجتي تجيبك إلى ما طلبت وإن كانت رغبتي تأبى ذلك ؟

روميو : إنني إنما أبتاع فقرك ولا أشتري إرادتك .

الصيدلي : خذ هذا السائل وأخلطه بقليل من الماء واشربه دفعة واحدة ، فإنه قاض عليك في الحال ، وإن كنت القوي الشديد ، البائس المسكين .

روميو : خذ هذا الذهب وهو أشد سماً لروح الإنسان ، فإنه يرتكب جرائم قتل آثمة في هذا العالم أكثر من هذا المقدار الضئيل الذي مُنعت من بيعه . فقد أعطيتك أنا السم ولم تعطني أنت شيئاً . الوداع ! اشترِ ما يغذيك كي تسمن . تعال ، أيها الدواء الشافي رافقني إلى ضريح جولييت حيث سأشربك هناك .

(يخرج روميو)

المشهد الثاني

فيرونا . صومعة الكاهن لورانس

(يدخل الكاهن جون)

الكاهن/ جون : تحية لك أيها الأخ المبجل لورانس، أين أنت ؟

(يدخل الكاهن لورانس)

الكاهن/لورانس : ما هذا إلا صوت الكاهن جون فقد رجع من مانتوا .
(إلى القس جون) أهلاً بك من مانتوا ، ماذا قال روميو؟ وأين الرسالة التي تحملها منه ؟ .

الكاهن جون : لم أذهب أيها الأخ بعد . لقد بدا لي قبل السفر أن أصطحب رفيقاً في رحلتي فبحثت عنه حتى وجدته في أحد المنازل يزور بعض المصابين بالطاعون ، وفيما نحن في الدار على وشك الخروج لنسافر إلى مانتوا برسالتك بادرنا مفتشو الصحة فضربوا حول المنازل نطاقاً ومنعونا من الخروج بدعوى أن العدوى أصابتنا ،

فمنعني ذلك عن السفر عاجلاً كما طلبت .

الكاهن لورانس : ومن الذي أخذ رسالتي إذن إلى الصديق روميو ؟

الكاهن جون: لم أستطع إرسالها إليه، وها هي لا زالت معي، إذ لم أر أحداً يردها إليك، فقد خشي الجميع العدوى وامتلأوا منها خوفاً .

الكاهن لورانس : يا للقدر الساخر ! فالرسالة تحمل أنباء خطيرة وأخشى أن ينجم من إهماله خطر عظيم ، فاذهب يا أخي على عجل وآتني بخطاف من معدن ولا تتأخر .

الكاهن جون : سآتيك به فوراً .

(يخرج) .

الكاهن لورانس : (لنفسه) يجب أن أذهب في الحال إلى المقبرة فإن جولييت سوف تصحو خلال الساعات الثلاثة المقبلة ، وسوف تلومني كثيراً على أنني لم أبلغ روميو أنباء ما حدث ولكن سأكتب إليه رسالة أخرى وأبعث بها إلى مانتوا وأبقي جولييت حين تستيقظ في صومعتي حتى يعود روميو إليها . رباه ! . . ماذا تراها فاعلة إذ تجد نفسها جثة حية سجينة في قبور الموتى الراحلين .

(يخرج)

المشهد الثالث

عين المكان . مقبرة وفيها مقابر عائلة كابوليتو

يدخل الكونت دي بارس وخادمة يحمل زهوراً ومصباحاً

الكونت : ناولني مصباحك يا غلام ، انصرف الآن
فانتظرني في ناحية من هذا المكان . بل
خذ المصباح فأطفئه فإني لا أريد أن تراني
عين ولا يكشفني بصر . واجعل وقفتك
تحت الأغصان البعيدة التي تراها وابقَ
قائماً وارقب الوقت وارهف السمع . حتى
لا تطأ هذه الأرض قدم إنسان آخر فإنني
أراها رطبة لينة كثيرة الأخاديد ، عديدة
الحفر من كثرة ما نبش من القبور وفتح
اللحود واحتفار الترب . فإذا ما سمعت
وقع خطوات فنبهني بصفير من فمك ،
والآن هيا ولا تعص أمري .

الخادم : (لنفسه) أن نفسي ترتعش من رهبة
المكان خوفاً ورعباً .

(يبتعد إلى حيث أمره سيده)

الكونت : أيتها الزهرة اليانعة على مثوى عرشك

أتيت أنثر الزهور فيا ويح القدر . لقد
تحول مخدعك تراباً وصخراً . ورمماً بالية
وعظاماً نخرة ، فأتيت أبلله بالماء
العذب . . ولئن قل الماء فلتكن الدموع
يجعلها الحزن تنهمر قطرة قطرة ، وليكن
فرضاً أقيمه مع الليل لا أتركه أبداً ، أن
أنثر على قبرك ريحاناً وورداً ، وأسيل
وأسيل عبرات ودموع منهمرة .

(يسمع صفير الخادم)

أسمع صفير خادمي ، فلا بد أن يكون
أحد الناس قادماً فأي قدم ضالة جاءت
تهيم في هذا المكان في الليل الحالك ،
لتطأ مضجع حبيبتي الوفية وتعكر على
النفس فريضتها المقدسة . يا للغرابة هذا
متطفل غريب يحمل مصباحاً . أيها الليل
خبئني قليلاً لكي أرى هذا الذي أتى
متسللاً ؟

(يختفي وراء قبر غير بعيد)

(يدخل روميو وخادمه يحمل مشعلاً ومعولاً)

روميو : هات يا صاح ما تحمل ، وخذ هذه
الرسالة فاحملها إلى أبي مع الصبح ،
ناولني المشعل واذهب بعيداً حتى لا
تسمع ولا ترى . . وحتى لا تكدر ما أنا

مقدم عليه ، فإني معتزم أن أهبط إلى هذه القبور . . وأنزل إلى مراقد الموت ، ومساكن الآخرة لأشاهد محيا حبيبتي وأمتع العين من طلعتها الباهرة . ولكي آخذ من أصبعها الجامد البارد خاتماً غالياً أريد أن أحتفظ به تذكاراً غالياً وأثراً باقياً .
فاذهب واعلم أنك إذا رجعت ودفع بك الفضول فجئت لتختلس النظر إلى ما أصنعه فوحق السماء إني لممزقك تمزيقاً ومقطع أشلاءك إرباً وناثر عظامك في هذه المقبرة لتكون للديدان قوتاً .
إن ظروفي ومقاصدي لموحشة مرعبة رهيبة بل هي والله أهول وأرهب من ضراوة النمر الجائع وثورة البحر المصطخب وزئير الخضم العاتي الأمواج . .

الخادم : أنا ذاهب يا مولاي ولن أتطفل عليك أو أعصي أمرك .

روميو : أحسنت ، ففي ذلك برهان حبك لي ووفائك. فخذ هذا المال استعن به على الحياة وعش في هناء ، والوداع أيها الخادم المخلص .

الخادم : (لنفسه) لن يمنعني هذا من أن أختفي هنا في مكان غير قصي ، فإني أرى من

نظراته ما يملأ النفس خوفاً مما يعتزمه .

(يختبىء الخادم)

روميو : يا حفرة الموت المرعبة . لقد ابتعلت في جوفك المخيف آخر قطعة من الأرض ، وأنا قد أتيت لأقتحمك غضباً ، وألقمك على الرغم منك ، طعاماً جديداً ، وضحية أخرى غالية .

(يفتح باب القبر)

الكونت : (في مخبأه) هذا هو روميو مونتاغو المتعجرف أخو الخيلاء الذي أُبعد من المدينة لاغتياله ابن عم حبيبتي وقد أورثها على فقده الألم والأسى فكان سبباً في مماتها ، وما أظنه إلا قد جاء ليهتك حرمة الموتى كرهاً منه وحقداً .

(يتقدم نحو روميو)

توقف أيها المونتاغي اللئيم عن فعلتك المنكرة وجرأتك الشنيعة فهل بلغ بك اللؤم إلى هذا الحد فتريد أن تجعل إنتقامك يتجاوز حدود الموت ، ويمشي إلى أبعد من الردى أيها الشقي المحكوم عليك . إني لقابض عليك فامض معي ولا تحاول أن تعصي أمري فإن جزاءك الموت لا محالة .

روميو : للموت أتيت ، والردى أريد ، فلا تحاول أيها الشاب الطيب الكريم أن تثير غضب رجل بلا أمل من الحياة ، مودع الرجاء في العالم . ناشدتك الله اذهب ولا تتردد . فوحق السماء إني لأفضلك الآن على نفسي ، إذ جئت إلى هنا كارهاً لها مستعد لإيذائها هلم ابتعد لتحيا وتبقى في هذه الدنيا وتقول فيما بعد لقد نجوت من الموت بفضل رحمة مجنون فاقد الصواب .

الكونت : لست أهتم بهذه المناشدات منك ولا أعبأ بهذه النذر . ولكني أقبض عليك كمجرم اقتحم قبور الموتى .

روميو : أتستفزني بعد كل هذا وتثير غضبي يا فتى . إذن فخذ لنفسك الحذر .

(يتقاتلان)

الخادم : يا الله إنهما يتقاتلان . . سأنطلق لأنادي حارس المقبرة .

الكونت : (يسقط مضرجاً بدمه) رباه . . . إنني أموت فإن كان في نفسك بقية من رأفة فافتح القبر وأرقدني بجانب جولييت .

روميو : قسماً بالله سأفعل . فدعني أرى وجهك

وأشاهد ملامحك . . . من ذا أرى ؟ . . .
قريب ماركو . الكونت دي بارس النبيل
النسب العظيم المجد ما الذي قاله خادمي
ونحن قادمان . فإن عقلي كان ذاهلاً
شارداً فلم أنتبه لقوله . رباه . . . لقد
تذكرت الآن . . . فقد أخبرني أن بارس
كان يريد الزواج من جولييت . يا
ويلتاه . . أتراه حقاً قال ذلك لي . . . أم
هذا حلم تراءى لي هكذا وما هو
صحيح . أم تراني مجنوناً يتخيل .
ومخبولاً يهذي وأحمقاً اختلط عليه
أمره . . . أواه . . . هات يدك أيها
المسكين التعيس الذي كتب اسمه معي
في كتاب شقائي . . تعال ارقد في القبر
الكريم الذي تزاحم عليه الأعزة الشهداء
وتنافس في الظفر بمراقده الأحباب
والأعداء . . ويحي أسميه قبراً . . لا والله
ما هو بقبر . . إنه لمنارة . . تملأها الأنوار
في النهار . . لأن جولييت فيه . وضياء
حسنها الباهر يتفجر خلاله فيملأ جنباته
نوراً وبهاء .
أيها الميت تعال أرقدك هنا . ومن العجيب
أن يسجي الميت ميتاً مثله ويدفن
المدفون مدفوناً مثله

(يحمل جثة الكونت ويسجيها بجانب جولييت)
من غريب أمر الموت أن الذين يكادون أن ينحدروا إلى واديه ، كثيراً ما يغمرهم الفرح . وتنطلق أرواحهم الذاهبة للحياة . . والناس يقولون تلك هي صحوة الموت ، أو هي البرق اللامع قبل الانطفاء ، وها هو ذا البرق الخاطف يأخذ بنفسي في هذه اللحظات المستبقة العناء . أي حبيبتي جولييت . أي زوجي . إن الموت الذي أرتشف من شهد شفتيك ، لم يقوَ على خطف حسنك وجمالك ، فأنت على الموت الغالية ، وفوق الردى المتبصرة القاهرة . . . وهذا جمالك كما عهدته بك ، وهذه سماته ، الأرجوان منك على الشفتين ولهيبه يتلظى فوق الوجنتين ، كأن الموت لم يزحف ليكسيه بالأصفر فوق الوجنتين . أي تيبالت ! ألست راقداً هنا في أكفانك الدامية . أي خدمة أقدمها إليك أوفى من أن أجعل اليد التي كسرت غصن شبابك هي ذاتها اليد التي تخطف روح عدوك تسلب خصمك . فيا ابن العم غفرانك ، ويا نسيبي صفحاً . وأنت يا جولييت الحسناء . عجبي لجمالك لا يزال على

رونقه باقياً . ليت شعري هل أحسب
الموت مثلي عاشقاً ، محباً للجمال . . .
وإليك يا حبي هذا (يجرع السم) ما
أصدقك أيها الصيدلي حين قلت إن هذا
السم سريع الفتك وبهذه القبلة أموت .
(يدخل عند الجانب الآخر من المقبرة الكاهن
لورانس يحمل مشعلاً ومعولاً)

الكاهن : (لنفسه) لعنني القديس فرنسيس على
عمالتي ! لم يسبق لي أن وطأت على
القبور مثل هذه الليلة . . من هناك ؟ .

الخادم : صديق يعرفك تمام المعرفة .

الكاهن : ليباركك الله يا ولدي . . اخبرني أيها
الصديق الكريم . ما هذا المشعل الذي
يلوح هناك مرسلاً قليلاً من النور على
الأشلاء والجماجم النخرة ، أحسبه يضيء
مقبرة آل كابوليتو ومدافنهم .

الخادم : هو ذلك يا أبت . إنه سيدي هناك وهو
صديقك وعزيز عليك .

الكاهن : ومن هو يا ولدي ؟ .

الخادم : إنه روميو يا أبت .

الكاهن : (متعجباً) ومتى تراه يا ولدي قد
وصل ؟ .

الخادم : منذ نصف ساعة أو أكثر .

الكاهن : تعال دلني إلى موضعه .

الخادم : لا أجرؤ يا أبانا . فإن سيدي لا يعلم انني هنا . فقد أنذرني بالموت إذا أنا بقيت لأنظر ما سيفعله .

الكاهن : ابقَ مكانك إذن ولأذهب أنا وحدي . أشعر الخوف . أخشى حصول شيء مخيف .

الخادم : بينما كنت نائماً تحت شجرة الصفصاف هذه حلمت أن سيدي قد تقاتل مع رجل آخر وقتله .

الكاهن : (يتقدم) روميو ! ما هذا ؟ ما هذا الذي اقتحم حرمة مدخل القبر . روميو جثة هامدة ؟ ومن هذا المسجى بقربه ؟ الكونت دي بارس أيضاً غارق في دمه ؟ . بدأت جولييت تتململ في مرقدها وتوشك أن تصحو .

(تستيقظ جولييت)

جولييت : أيها الكاهن الكريم . أين زوجي ؟ لقد تذكرت الآن المكان الذي كان مقدراً أن يجدني فيه ، والآن قد صحوت . فأين روميو . . أين حبيبي العزيز ؟

(صوت حركة من الداخل)

الكاهن : هيا بنا . . هيا نخرج من هذا المكان فإن زوجك روميو ها هو ميت بجانبك . وبارس كذلك صريع بقربك . . هيا بنا فإني سأعرف كيف أتصرف في أمرك وأقيمك بين أخوات من الراهبات . فلا تسأليني عن أشياء ان تعرفيها قد تؤذيك ولا ترددي بين البقاء أو الذهاب . بل اسرعي بنا فإني أسمع وقع أقدام وأكبر ظني أن الحراس قادمون . . هيا يا جولييت الكريمة العاقلة الحكيمة .

(تستمر الأصوات)

هيا يا جولييت فلا أطيق البقاء ولا أجرؤ عليه .

جولييت : حبيبي مات ؟ زوجي الوفي المخلص قضى ؟

الكاهن : ها هوذا بجانبك فلا ينفع اليوم في أمره الكلام . هيا لنهرب من هذا المكان المخيف .

جولييت : اذهب أنت ودعني فلن أترك هذا المكان ولو جزّوا رأسي وأوصالي . لقد مات حبيبي في هذا المكان فلست بمفارقته ولن أنصرف عنه .

(يخرج الكاهن لورانس)

ماذا أرى ؟ ما هذه قارورة . . التي ما يزال ممسكاً بها . . رباه لقد اتخذ من السم وسيلة للقضاء على حياته . . أي روميو . أنت والله البخيل الضنين ! أهكذا شربتها كلها فلم تترك فيها ولا نقطة رحيمة حانية ، لكي أستعين بها على رحلتي القادمة . ولكن فلأقبل شفتيك فمن حسن الحظ أن بعض السم لا يزال ظاهراً عليهما لكي أموت منتعشة بهذه القبلة المسمومة راضية (تقبله) حبيباه . . لا تزال شفتاك ملتهبتين .

أحد الحراس : (من الداخل) دلني أيها الغلام ! من أي طريق مشى سيدك ؟ .

جولييت : رباه . . أسمع أصواتاً . . إذن فلأسرع . . . أيها الخنجر السعيد (تنتزع خنجر روميو) فليكن صدري لك غمداً .

(تطعن نفسها)

دعني أموت (تسقط فوق جثة روميو وتموت)

(يدخل الحارس ومعه خادم بارس)

الخادم : هذا هو المكان حيث ترون مشعلاً يرسل بعضاً من نور .

الحارس : ما لي أرى الأرض دامية أيها الرفاق ! اذهبوا فتشوا جوانب المقبرة وألقوا القبض على كل من تجدوه واحتجزوه . يا لله إنه لمشهد تقشعر من هوله الأبدان . ها هوذا الكونت مسجى غارق في دمه ! وها هي ذي جولييت كذلك صريعة دامية . إن جسدها لا يزال دافئاً ، وأكبر ظني أنها قد ماتت منذ لحظات فكيف ذلك وهي مدفونة منذ يومين ؟ انطلقوا وأخبروا الأمير ، وأحضروا آل كابوليتو وأيقظوا آل مونتاغو (يخرج الحراس الآخرين) ليأت القوم جميعاً ، فإنا لا نعلم أسباب هذه البلية وسر هذه المأساة الدامية .

(يعود بعض الحراس ومعهم خادم روميو)

أحد الحراس : هذا هو خادم روميو عثرنا عليه في المقبرة .

حارس آخر : احتجزوه حتى يأتي الأمير .

(يعود حراس آخرون ومعهم الكاهن لورانس)

أحد الحراس : لقد عثرنا على هذا الكاهن لاهثاً خائفاً يحاول الخروج من المقبرة وصادرنا منه هذه الفأس التي كان يحملها .

رئيس الحرس : هذه شبهة قوية فاحجزوه هو أيضاً .

(يدخل الأمير وأتباعه)

الأمير : يا للغرابة . كيف حدث هذا في مثل هذه الساعة الباكرة ، لقد أزعجنا وأيقظونا من نومنا فجئنا مسرعين .

(يدخل كابوليتو وزوجته وآخرون)

كابوليتو : ما الذي يتردد في الخارج وعلام هذا الصياح الذي يزعج أسماعنا ؟ .

زوجة كابوليتو : إن الناس في المدينة ينادون باسم روميو ، وجولييت ، والكونت ، وهم يسرعون نحو المقبرة حاشدين منذ ذاع في المدينة الخبر .

رئيس الحرس : لقد رأينا يا صاحب السمو جثة الكونت دي بارس ملقاة مضرجة بالدماء ووجدنا روميو بجانبه قتيلاً ، وجولييت مفارقة الحياة ولا تزال حرارة دمها في جسدها باقية وهي مطعونة بخنجر في صدرها .

الأمير : ابحثوا المكان وفتشوا نواحيه ، وحققوا في هذا الحادث وأتوني بما تجدون .

كبير الحرس . : لقد قبضنا على كاهن وخادم لروميو ويحوذتهما أدوات وفؤوساً لنبش المقابر .

كابوليتو : يا الله . . . انظري يا زوجتي كيف تنزف ابنتنا دماً ، لقد تاه هذا الخنجر عن غمده فغاب في صدرها . وكان أحق أن ينغمس

في ظهر مونتاغو ويصيب جسده .

زوجة كابوليتو : يا ويلتاه إن منظر الموت ينذر الشيوخ بالقبر .

(يدخل مونتاغو وآخرون)

الأمير : أقبل أيها الشيخ ، لقد بكرت إلى اليقظة ، حتى تشهد ابنك روميو قد بكر للنوم الأخير .

مونتاغو : يا ويلتاه . لقد عظم مصابي وتكسرت النصال على النصال ، فإن أمه قد ماتت الليلة بالذات حزناً على فراقه وأسى على إبعاده ، ألم يكفني هذا المصاب الذي فجعت به حتى أروع الساعة بما يهد عزيمتي ويحطم بقيةَ حياتي .

الأمير : احضروا الذين حامت الشبهات حولهم .

(يتقدم الكاهن لورانس)

الكاهن : هأنذا يا سيدي أول من تحوم الشبهات حوله ، وإن كنت أعجز إنسان عن الإجرام وأبعدهم عن الشك ، لولا أن ظروف الزمان والمكان مجتمعة ضدي ، وتحيط بي ، ولكن هأنذا يا مولاي بين يديك ، فاستمع لي فإني سوف أروي لك حقيقة ما حدث وما أبرىء نفسي ولكني أرجو لها العفو .

الأمير : اروِ لنا ما تعرفه عن هذه المأساة وأسرارها .

الكاهن : سأرويها بإيجاز . فإن قصر أنفاسي بسبب الشيخوخة لا تمكنني رواية قصة طويلة إن روميو الذي تراه ميتاً كان لجولييت زوجاً ، وإن جولييت التي تشهدونها الساعة ميتة مطعونة فهي لروميو زوجة وفية . أنا الذي عقدت لهما وقمت بتزويجها ، وكان قرانهما سراً ، هو يوم نهاية حياة تيبالت البائسة ، وقد أدى موته الباكر إلى إبعاد الزوج الجديد من هذه المدينة ، ومن أجله حزنت جولييت واغتمت . وإن بدت أنها حزينة على تيبالت وتظاهرت (مخاطباً كابوليتو) وأنت لتزيل عنها الهم الذي لحقها اخترت الكونت دي بارس عريساً لها وكدت تزوجها رغماً عنها . فجاءتني خائفة تستنصحني وفزعت إلى صومعتي ، لتستعين على الخلاص من هذا المأزق ، وإلا قتلت نفسها بين يدي لتنجو من بؤسها ، فأعطيتها ، مما تعلمت ودفعت إليها مما حفظت من أسرار صناعتي ، شراباً منوماً ، ما كادت تجترعه حتى ظهر عليها من مفعوله ما أردت وهو

أن تتراءى مائتة وهي في الحقيقة لم
تمت . وفي الوقت نفسه كتبت إلى روميو
في منفاه ، أسأله المجيء ليحملها من
قبرها المصطنع حين يزول مفعول الجرعة
المخدرة وتأثيرها ، ولكن حامل رسالتي
الأخ جون من الرهبان إخوتي ، أخره
حادث فرجع أمس برسالتي ، وفي الساعة
المعينة ليقظتها جئت بمفردي إليها في
وحدتها لكي أحملها من مقابر عائلتها ،
ونويت أن أبقيها في صومعتي ريثما أرسل
إلى روميو شخصاً برسالتي . ولكن عندما
وصلت قبل الأوان ببضع لحظات ، رأيت
الكونت بارس طريحاً هنا ووجدت روميو
الوفي الأمين صريعاً رهن الردى ، ولما
أفاقت جولييت من سباتها واستيقظت ،
توسلت إليها وتضرعت أن تترك هذا
المكان . وتصبر على ما قدر الله فكان ،
وتتجلد للهموم والأسى ، ولكني في تلك
اللحظة سمعت جلبة روعتني ، فالتمست
الاختباء في مكمني وأما هي كما أرى
أودت بنفسها . كل ذلك كنت على علم
به وكانت مربيتها لسر الزواج كاتمة ، فإن
كان لي فيما جرى ذنب ، أو عليّ منه
مسؤولية ، أو أتيت به أمراً منكراً فلتكن

حياتي الفانية ، هي التضحية في سبيل القانون .

الأمير : لقد عرفناك أيها الكاهن رجلاً أخاً ورعاً وتقياً وكنا محسني الظن بك . ولكن أين غلام روميو ، وما هي أقواله بهذا الحادث ؟ .

خادم روميو : لقد نقلت إلى مولاي روميو نعي جولييت فجاء مسرعاً من مانتوا إلى هذه المقبرة ، فدفع بهذه الرسالة إلى يدي ، وأمرني بحملها إلى أبيه وأنذرني بالموت إذا لم أبتعد وأتركه وحيداً .

الأمير : هات الرسالة لأنظر فيها . (إلى الحراس) وأين خادم الكونت دي بارس الذي استدعاكم ؟

(يتقدم الخادم)

خادم بارس : لقد جاء مولاي لينثر الزهور على قبر جولييت وأمرني أن أبتعد ففعلت ، وما لبث أن ظهر لي شبح إنسان يقترب وهو يحمل مشعلاً ليفتح القبر ، وما هي إلا لحظة أخرى حتى رأيت مولاي يصارعه فأسرعت بطلب الحراس .

الأمير : (بعد أن قرأ الرسالة) ان هذه الرسالة

تؤكد أقوال الكاهن ويعزز شهادته فقد قال روميو فيها انه ابتاع من صيدلي رقيق الحال سماً وأتى إلى هذه المقبرة ليجرعه ويموت بقرب جولييت :

(مخاطباً كابوليتو ومونتاغو) : يا آل كابوليتو وعائلة مونتاغو ألا ترون اللعنة التي لاحقت خصامكما ، والنقمة التي لازمت عداوتكما ألا تبصرون خاتمة الشقاق وثمرة الخلاف ، ونتيجة العداوة والحقد . لقد أرادت الأقدار أن تلقنكم درساً أليماً ، وعبرة بالغة . فقتلت بالحب أفراحكم وفجعتكم بهذه الأحداث في قتلاكم وأصابتني أنا لتقاضي عن خصوماتكم ببعض مأساتكم . ففقدت عزيزين من أهلي ، وأصبت بفقيدين غاليين ماركو والكونت ، وكذلك نزل بالجميع جزاء فعسى أن يكون في هذا كله ما يردكم عن غيكم البعيد .

كابوليتو : هات يدك أيها الأخ مونتاغو لأصافحها ، ولنتعانق بشدة فيكفيني هذا لجولييت مهراً لست أطلب عليه مزيداً .

مونتاغو : بل أزيد على هذا . إنني سأقيم لجولييت نصباً من ذهب خالص ليخلد ذكرها . .

فما في قصص العشاق وشهداء الحب أروع
ولا أفجع من إخلاص جولييت .

كابوليتو : وسوف أقيم لروميو كذلك نصباً لا يقل عن
تمثال جولييت الذهبي جمالاً وجلالاً ليظلا
قائمين متقابلين ويقوما علمين خالدين .
على أنهما كانا لخصامنا فداء .

الأمير : عجباً للقدر . . لقد طالعنا هذا النهار
بسلام عظيم . وإن فقدنا في العداء العزيز
تلو العزيز . فهيا بنا لنتحدث في هذه
البلايا والأحداث الأليمة ، ولننظر فيمن
نغفر لهم وفيمن يستحقون القصاص ، فما
في الفواجع الدامية ، أرهب من هذه
الفاجعة ، فاجعة روميو وجولييت .

(يخرجون)

روائع شكسبير

* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من ڤيرونا
* حلم ليلة صيفية